الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العـــالي والبحث العلمـــي

جامعـــة أكلي محمد أولحاج " البويرة "

كليـة العلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة

قسم التاريخ:

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

تحت عنوان:

العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة

" من القرن 5 هـ إلى القرن 7 هـ / من القرن 11 م إلى القرن13م

إعداد الطالبتين:

- سارة سعدات
- خديجة قالية

إشراف الأستاذة:

- فهيمة سعودي

السنـــة الجامعيـــة:

2021-2020

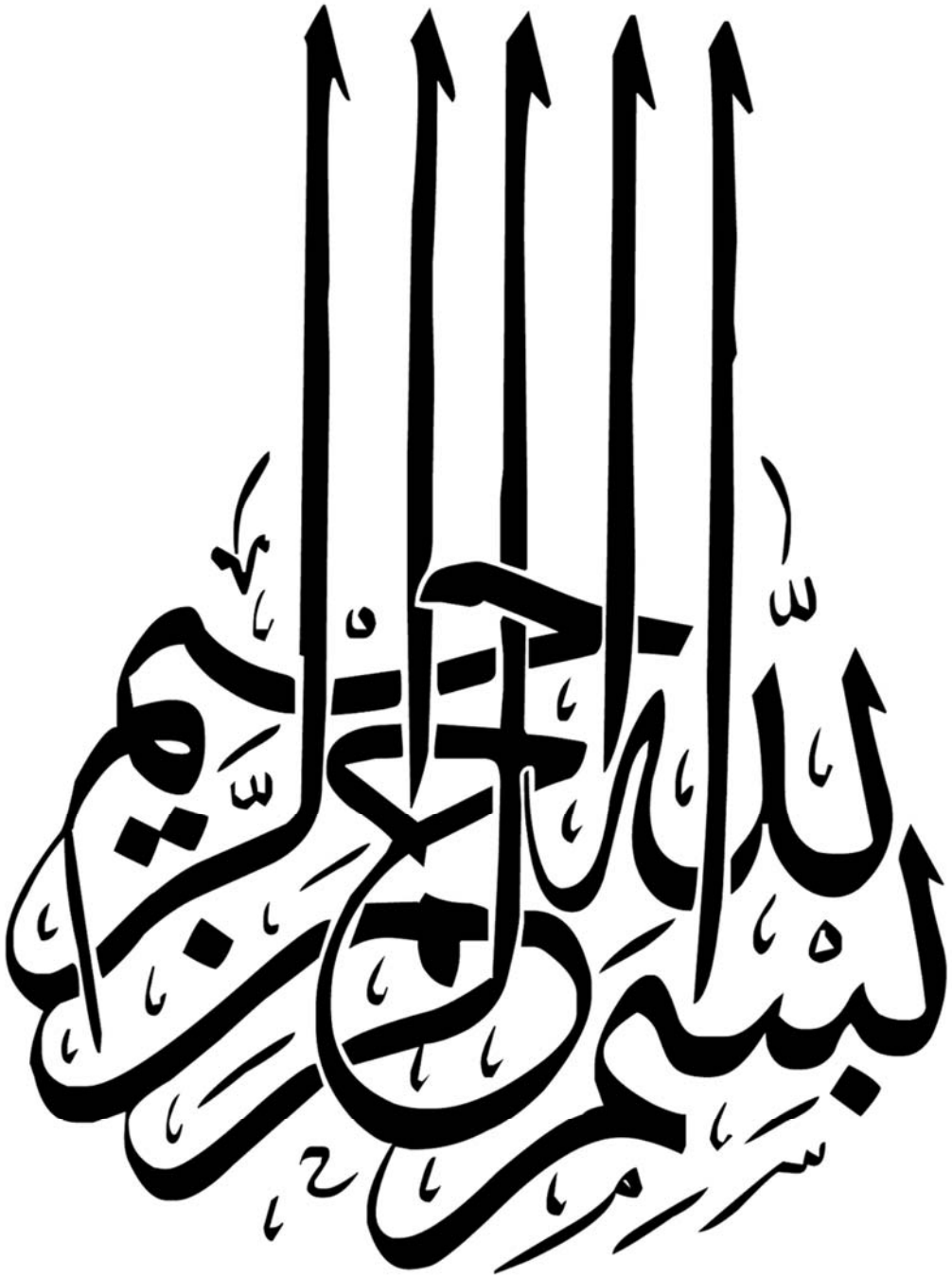
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله ربي العالمين على نعمته التي أنعم علينا من عقل وعلم فلولا فضـــل الله علينا وقدرته لما توصلنا لإنجاز هذا العمل.

فبداية وقبل كل شـــيء نحمد الله عز وجل على هدايتنا وتوفيقنا في إنجاز هذا العمل، ثم نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة سعودي فهيمة التي لم تبخل علينا بنصائحها القيمة وتوجيهاتها السديدة خلال مسيرة إنجاز هذا العمل، كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى جميع الأساتذة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

إهـــداء

الحمد لله الذي بعونه تتم الصـالحات والصـلاة والسـلام على سـيدنا محمد عليه أزكى السلام وأفضل التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من قال فيهما الله عز وجل: (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**). الإسراء: الآية 24.

- إلى الذي أحمل اســمه بكل فخر إلى ســندي وملاذي الذي رافقني بالحب والرعاية والدعاء **أبي الغالي** أطال الله في عمره.
- إلى التي لا يطيب النهار إلا بذكرها ولا تحلو الأيام إلا بوجودها إلى التي حملتني وهنا على وهن وآثرتني على نفســها **أمي الحبيبة** أطال الله في عمرها.
- وإلى سـندي في الحياة إخوتي يوسـف، مريم، صـبرينة، سـعاد، بلال وناصـر حفظهم الله ووفقهم.
- إلى أبناء وبنات إخوتي وأخواتي، وائل، شـمس الدين، نهال، إسـحاق، فراس، وآخر العنقود ياسين، وإلى كل أفراد عائلتي.
- إلى من تقاسمت معها شقاء هذا العمل صديقتي **خديجة**.
- إلى رفيقات دربي، أحلام، ليندة، حنان، آســيا، روفية، وإلى كل من أحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

سعدات سارة

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي ونتائج دراستي إلى نبع الحنان، قرة عيني وزهرة روحي وبر الأمان التي حملتني وهنا وغذتني في الصغر لبنا، وفي الكبر خلقا وأدبا إلى من تحت قدميها الجنة إلى أجمل لفظة تنطق بها البشرية إلى أمي الغالية.

إلى من أخذ بيدي إلى أصول التربية إلى سبيل التوفيق في مسيرتي، ومنحني من فضله والذي علمني الصبر وتحمل المشاق ورباني فأحسن تربيتي أبي العزيز.
إلى من شاطروني حضن الوالدين الذي أرحو لهم النجاح والرشاد إلى بر الأمان بإذنه تعالى إخوتي، قادة، سفيان، مليكة، فضيلة، نوال، أمينة الذين رافقونا منذ بداية مشواري الدراسي وكانوا معي خطوة خطوة.
إلى زوجة أخي وهيبة حفظها الله.

إلى أبناء وبنات إخوتي، نسرين، إسراء، آلاء، شمس الدين، رابح، عماد الدين.

إلى من تقاسمت معي عناء هذا العمل صديقتي "سارة"

إلى صديقاتي سارة، ليندة، أحلام.

وإلى كل من كتب الله لي التعرف بهم وحظيت بصداقتهم.

قالية خديجة

قائمة المختصرات

تح = تحقيق.

تر = ترجمة.

تع = تعليق.

ج = جزء.

ط = طبعة.

ص= صفحة.

د ط = دون طبعة.

م = ميلادي.

هـ = هجري.

ص ص = صفحتين متتاليتين.

المقدمة

شـــغلت التجارة مكانة كبيرة في الدولة الحفصـــية، إذ تعد من أبرز الجوانب الحضـــارية للدولة، وهذا بفضل عدة عوامل وظروف ساعدت على بروز حركة تجارية فعالة في المنطقة، فلقد اهتم الحكـام الحفصـــيين بـالتجـارة كثيرا بـاعتبـارهـا أهم مظهر من مظـاهر التطور الاقتصادي للدولة، حيث بلغت التجارة أوج ازدهارها في عهد الدولة الحفصية، وهذا ما مكنها من التواصل مع المناطق المجاورة لها خاصـة المدن الإيطالية جنوة وبيزة، حيث تكمن أهمية هذه الدراســة كونها تتناول موضــوع هام يتعلق بالنشــاط التجاري وطبيعة العلاقات التجارية التي تربط الدولة الحفصـية والمدن الايطالية جنوة وبيزة فبناءا على هذا فإن موضـوع دراسـتنا يتمثل في تسـليط الضـوء على العلاقات التجارية بين الدولة الحفصـية والمدن الايطالية جنوة وبيزة من القرن **5هـ إلى 7هـ /11م الى 13م.**

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لقد دفعتنا لاختيار هذا الموضــوع مجموعة من الأســباب أبرزها: قلة الدراســات عن موضوع العلاقات وطرق التواصل التجاري بين الدولة الحفصية والمدن الايطالية جنوة وبيزة.

أهمية الموضوع والذي يعتبر جزء هام من تاريخ المغرب الإسلامي.

- **الدراسات السابقة:**

من أهم الدراسات السابقة التي كانت في هذا الموضوع نجد:

- روبار برنشــفيك في كتابه: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصــي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م** في جزئه الأول والثاني، حيث تناول تاريخ إفريقية في العهد الحفصـــي من مختلف الجوانب والنواحي.
- بالإضـــافة إلى رســـالة دكتوراه بعنوان: **التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصـــي (555_980هـ/1160_1582م)** لمريم محمد عبد الله جبودة، حيث تناولت هذه الدراسـة جانبا مهما هو تاريخ التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصـي، حيث شـملت هذه الدراسـة مختلف الجوانب التجارية وما أثر فيها من عوامل ومقومات التجارية وغيرها.

- **الإشكالية:**

انطلاقا مما ذكرناه آنفا نطرح الإشكالية التالية:

– ما طبيعة العلاقات التجارية التي ربطت بين الدولة الحفصـــية والمدن الايطالية جنوة وبيزة (من 5هـ الى القرن 7هـ / من القرن 11م الى القرن 13م)؟ وما هي المقومات التي شجعتها على التطور والازدهار؟

وللتعمق في ذلك يمكن طرح عدة تساؤلات تكون إجاباتها ضمن طيات البحث وهي:

1- كيف نشأت الدولة الحفصية وكيف ظهرت المدن الإيطالية جنوة وبيزة؟

2- ما هي أهمية الموقع الجغرافي للدولة الحفصية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة؟

3- ماهي المقومات التجارية التي تمتعت بها الدولة الحفصـــية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة؟

4- كيف كانت العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الايطالية جنوة وبيزة؟

- **الخطة:**

والإجابة على هذه التساؤلات قمنا بتقسيم الموضوع إلى مقدمة وثلاث فصول مع تمهيد لكل فصل وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

فالفصـل الأول تحت عنوان **الدولة الحفصية** وتضـمن أربعة عناصـر تناول العنصـر، الأول أصـل الحفصـيين والعنصـر الثاني تناولنا فيه نشـأة الدولة الحفصـية، أما بالنسـبة للعنصـر الثالث فتحدثنا فيه عن الموقع الجغرافي للدولة الحفصـــية، وفي العنصـــر الرابع تحدثنا عن أبرز حكام الدولة الحفصية.

أما بالنسـبة للفصـل الثاني فقد جاء تحت عنوان **المدن الإيطالية وأهميتها** وهو أيضـا تناول أربعة عناصـر العنصـر الأول يتحدث عن ظهور المدن الإيطالية جنوة وبيزة، أما العنصـر الثاني فيتحدث عن مدينة جنوة كما يتحدث العنصـــر الثالث عن مدينة بيزة، أما العنصـــر الرابع فيتحدث عن أهمية الموقع الجغرافي للمدن الايطالية جنوة وبيزة.

وأخيرا الفصـل الثالث الذي جاء تحت عنوان **العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطاليـة جنوة وبيزة** والذي تناول ثلاث عناصـــر، فكان العنصـــر الأول تحت عنوان المقومات التجارية والذي يتحدث عن المقومات التجارية للدولة الحفصـــية و المقومات التجارية لمدينتي جنوة وبيزة، أما في العنصـــر الثاني تطرقنا فيه إلى العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية، فذكرنا أولا مع مدينة جنوة وثانيا مع مدينة بيزة أما العنصر الثالث تطرقنا فيه إلى سقوط الدولة الحفصية.

وختمنا موضـــوع دراســـتنا **بخاتمة** تضـــم مجموعة من النتائج التي تم التوصـــل إليها وتلتها مجموعة من الملاحق التي تساعد في توضيح بعض عناصر الدراسة.

- **أهم المصادر والمراجع:**

- **المصادر:**

1 – كتب الجغرافيا والرحلات:

– الشـريف الإدريسـي (560هـ_1164م): نزهة المشـتاق في اختراق الآفاق والذي تناول فيه تعريف المدن ومواقعها ووصـفها وصـفا دقيقا وكذلك اهم الطرق التجارية التي كانت في بلاد المغرب الإسلامي.

– حسـن بن محمد الوزان الفاسـي (ليون الافريقي) كان حيا سـنة (759هـ/1550م): وصـف إفريقيا، إذ تحدث عن أشـــهر الرحالة المغاربة في العصـــر الوســـيط وقدم معلومات تاريخية وجغرافية تتضمن وصفا جغرافيا واقتصاديا لكثير من مدن بلاد إفريقية.

2 – كتب التاريخ:

– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشـــماع (861هـ_1456م): الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، جاء في كتابه نوع من التفصيل حول أصل الحفصيين وحكام الدولة الحفصية وإنجازاتهم.

– عبد الرحمان بن خلدون الحضـــرمي (808هـ_1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصـرهم من ذوي الشـأن الأكبر، أفادنا الجزء السـادس في معرفة أسباب سقوط الدولة الحفصية.

– ابن عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشـــي (884هـ_1442م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تضمن تاريخ المغرب في عصر الدولتين الموحدية والحفصية إذ ركز على الدولة الحفصية فكان معاصرا للأحداث التي كتبها عن حكام الدولة الحفصية وإنجازاتهم وغيرها من الأحداث.

- **المراجع:**

– كتاب السلطنة الحفصية لمحمد لعروسي المطوي: وهو كتاب تناول فيه الأحوال السياسية للدولة الحفصية وأفادنا كثيرا في معرفة نشأة الدولة الحفصية بالإضافة إلى بعض المعلومات الهامة عن الحملة الصليبية الثامنة على تونس، ولقد اعتمدنا عليه كثيرا في دراستنا.

– كتاب تاريخ إفريقية في العهد الحفصـي لروبار برنشـفيك، وهو مسـتشـرق فرنسـي حيث يتناول في كتابه تاريخ إفريقية في العهد الحفصـي من القرن الثالث عشـر ميلادي إلى القرن الخامس عشر ميلادي وقسمه إلى جزئين: تناول في الجزء الأول الحياة السياسية، كما أفادنا كثيرا في معرفة العلاقات التجارية بين الدولة الحفصـــية والمدن الايطالية جنوة وبيزة، أما الجزء الثاني فقد تناول المؤسسات والحياة اليومية، وأفادنا في معرفة المقومات التجارية للدولة الحفصية.

– كتاب العلاقات الاقتصـادية بين الشـرق والغرب في العصـور الوسـطى لعادل زيتون، فهذا الكتاب يتحدث عن النشـــاط التجاري للمدن الإيطالية، ولقد ســـاعدنا كثيرا في معرفة كيف ظهرت المدن الإيطالية جنوة وبيزة.

– كتاب تاريخ العصـور الوسـطى الأوروبية وحضـارتها لجوزيف نسـيم يوسـف، وهو كتاب يضـم أهم معالم تاريخ العصـور الوسـطى الأوروبية وحضـارتها، أفادنا في معرفة الفتوحات

الإسـلامية التي شـملت سـواحل البحر المتوسـط، بالإضـافة إلى العلاقات التجارية التي كانت بين الشرق والغرب، وأهم الصادرات والواردات التي كانت بينهما.

- **المنـهج:**

وللوصــول إلى الإجابة على هذه الإشــكالية والتســاؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يتطلبه موضـوعنا وذلك من أجل اسـتخلاص الأحداث التاريخية وسـردها وفق تسـلسـل زمني وكرونولوجي يراعي الإطار الزمني للدراسـة، بالإضـافة إلى المنهج الوصـفي وذلك من خلال وصف بعض الأحداث بطريقة موضوعية.

- **الصعوبات:**

من الصـــعوبات التي واجهتنا: ندرة المادة العلمية المتعلقة بالموضـــوع حتى وإن وجدت فهي قليلة جدا، بالإضـــافة إلى صـــعوبة التعامل مع موضـــوع العلاقات التجارية بين الدولة الحفصـــية والمدن الايطالية جنوة وبيزة ويتطلب جهد كبير ودراســـة أعمق وهذا نظرا للنقص الكبير للمادة العلمية.

الفصل الأول:
الدولة الحفصية

تمهيد

1. أصل الحفصيين
2. نشأة الدولة الحفصية
3. الموقع الجغرافي للدولة الحفصية
4. أبرز حكام الدولة الحفصية

تمهيد:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط تغيرات سياسية أدت إلى ظهور العديد من الدول المنافسة والتي تقوم كل منها على أعقاب دولة أخرى، تبدأ بدعوة دينية أو فكرية أو روحية على يد دعاة وفقهاء، ثم يأخذ طابعها السياسي بظهور نظام جديد، ومن بينها دولة الموحدين التي تعد من أعظم الدول التي شهدها تاريخ المغرب الإسلامي، التي تنسب إلى مؤسسها محمد بن عبد الله بن تومرت[1]، وقد عرفت هذه الدولة ازدهارا كبيرا داخليا وخارجيا بفضل تنوع ثرواتها النباتية والحيوانية التي أدت إلى ازدهار تجارتها وبروز قوتها الاقتصادية على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط[2]، وبدأت هذه الدولة بالتقهقر وسلطتها بالتدهور منذ هزيمتها في معركة العقاب بالأندلس سنة **(609هـ_1212م)**، فسرعان ما دب الضعف فيها وظهر خلفاء ضعاف لا يملكون الشخصية القوية والإدارة الحازمة، فانفلتت منهم زمام الأمور وضعفت قبضتهم على إدارة الدولة وأخفقت محاولاتهم في إعادة الأمن والاستقرار فيها[3]، ونشأ عن ذلك أن استغلت القبائل المغربية هذه الفرصة وأقاموا عدة دول بسطت نفوذها وسلطتها في منطقة المغرب الإسلامي المغرب، فقامت دولة بني مرين في المغرب الأقصى ودولة بني زيان في المغرب الأوسط والدولة الحفصية في أفريقية (تونس) [4].

عُرفت هذه الأخيرة بإفريقية التي استمر حكمها لأكثر من ثلاث قرون من **1229** إلى **1574** وتعاقب على حكمها 25 سلطانا[5] بدءا بأبي زكريا الحفصي وصولا إلى مولاي محمد[6]، وقد شهدت فيها البلاد فترات مهمة تراوحت بين الاضطراب والاستقرار والرفاهية، فتمكنوا

---

[1] ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت،1979، ص120.

[2] روبار برنشفيك: **إفريقية في العهد الحفصي**، ج1، تع، حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص 35.

[3] التيجاني: **رحلة التيجاني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1981، ص 100.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ص120.

[5] أبو عبد الله محمد أحمد الشماع: **الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980، ص ص 139-140، ينظر أيضا الملحق رقم 01 ص ص 60- 61.

6 روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص ص 54-55.

أثناء حكمهم الذي دام فترة جيدة(**1229_1574**) من تطوير المجالات الاجتماعية والاقتصادية والفلاحية التي ميزت جزءا من تاريخ تونس، كما عقدت معاهدات صداقة وسلام مع المدن الإيطالية (جنوة وبيزة) نصت هذه المعاهدات على ضمان الأمن المتبادل للملاحة البحرية ووضع لوائح للتبادل التجاري، فأحدثت تطور في الجانب الاقتصادي لاسيما النشاط الفلاحي والنشاط التجاري وكذلك الصناعي[7].

1. أصل الحفصيين:

يعود أصلهم إلى أبي حفص عمر بن يحيى وينتهي نسبهم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[8] والشيخ أبو حفص من قبيلة هنتانة[9] من قبائل المصامدة وهنتانة أكثرهم جميعا والقائمون بدعوة المهدي بن تومرت والسابقين وأبو حفص أحد العشرة الذين بايعو المهدي[10].

2. نشأة الدولة الحفصية:

عندما انتصر الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص[11] على يحيى بن غانية في معركة تاجرا ازدادت قيمته عند الناصر بن المنصور، لهذا عندما أراد الناصر الموحدي اختيار والي جديد

---

[7] مريم محمد عبد الله جبودة: **التجارة في بلاد أفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555_980 هـ /1160_1572م)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 2008، ص ص 133_134.

[8] الشماع: المصدر السابق، ص48.

[9] هنتانة: قبيلة بربرية من أهم قبائل المصامدة تقع جنوب مراكش وكانت من أهم القبائل المساهمة في دعوة بني حفص. ينظر: ابن قنفذ القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح محمد الشاذلي وعبد المجيد بركي، ط1، دار التونسية للنشر، 1968، ص104.

[10] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج5، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة مصر، 1994م، ص21.

[11] عبد الواحد بن أبي حفص: جلس على كرسي الإمارة بقصبة تونس سنة 603هـ/1207م كان ذكيا فطنا وشجاعا توفي سنة 618هـ/1221م دفن بالقصبة. ينظر: الشماع: المصدر السابق، ص50.

على إفريقية[12] قبل عودته إلى مراكش[13]، فوقع اختياره على المولى أبي محمد فولاه عليها بعد مراجعة بينهما، وامتنع المولى أبو محمد من قبول الولاية، ثم قبلها[14] وفق شروط، وهي اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات إفريقية في ثلاث سنين، وعلى أن يختار من رجال الموحدين من يجلس معه ويكون عونا له في جميع ضروریاته ولا يتعقب عليه في أموره في تولية ولا عزل، فقبل الناصر شرطه ورحل عن تونس في شهر رمضان سنة**603هـ/1207م**[15]، وتعتبر ولاية عبد الواحد بن أبي حفص على إفريقية تمهيدا لانبعاث دولة جديدة في تونس[16].

رحب أهل إفريقية بولايته واستبشروا به خيرا وقام عبد الواحد بدور كبير في مقاومة ابن غانية وقام بإصلاح الأمور وأحسن التدبير، وأما عن السياسة المالية فقد نفذها خير تنفيذ واستطاع أن يضع الأمور في نصابها في كل في إفريقية[17]، وتوفي يوم الخميس أول محرم سنة **(618هـ/1221م)**، ودام حكمه أربع عشر سنة وثلاثة أشهر ودفن بالقصبة[18]، ليتولى الولاية أبو زكريا يحيى ابن المولى أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص يوم **18رجب سنة 625هـ/24جوان 1228م.**

يعتبر الانفصال الرسمي عن الدولة الموحدية بالنسبة للحفصيين على يد أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي سنة **(626هـ/1229م)**[19]، وإذ رجعنا إلى الأسباب التي شجعت أبا زكريا

---

[12] افريقية: أي صاحبة السماء، وقال آخرون سميت بهذا الاسم لأن إفريقس ابن أبرهة بن الرايس غزة نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في ارض البربر وهو الذي بنى إفريقية وباسمه سميت، وقيل نسبة إلى إفريق بن ابراهيم عليه السلام، طولها من برقة شرقا إلى إلى طنجة الخضراء غربا وعرضها من البحر الى الرمال التي فيها اول بلاد السودان. ينظر: أبي عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دط، دار الكتاب الاسلامي القاهرة، دت، ص21.

[13] محمد لعروسي المطوي: **السلطنة الحفصية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص85.

[14] الشماع: المصدر السابق، ص49.

[15] الزركشي: المصدر السابق، ص18.

[16] محمد لعروسي المطوي: المرجع السابق، ص49.

[17] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص39.

[18] ابن أبي دينار: **المؤنس في اخبار إفريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1228هـ، صـ758.

[19] علي محمد الصلابي: **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي**، ج2، دط، دار الإيمان، الإسكندرية، 2003، ص758.

على الانفصال وتأسيس كيان سياسي مستقل عن الدولة الموحدية ستجدها ترجع إلى: هزيمة الخليفة الناصر الموحدي في معركة العقاب **(609هـ/1212م)** وانهيار دولة عبد المؤمن في المغرب والأندلس بعد الهزيمة التي لحقت بجيوشها في هذه المعركة [20]، وكذلك رفض الخليفة الموحدي إدريس المأمون في عام **(626هـ/1225م)** لتعاليم ابن تومرت ثم إزالة اسمه من السكة والخطابة، بالإضافة إلى قتل الخليفة الموحدي إدريس أشياخ الموحدين الذين عارضوا سياسته ومعظمهم من هنتانة قبيلة الحفصيين[21]، ولما بسط نفوذه على تونس زحف أبو زكريا سنة **(628هـ/1231م)** على المغرب الأوسط واستولى على قسنطينة وبجاية ثم مدينة الجزائر سنة **(632هـ/1235م)**، وفي سنة **(634هـ/1237م)** بويع البيعة الثانية وأصبح يذكر اسمه في الخطبة[22] وأتته بيعة أهل طنجة[23] وسبتة[24] وسجلماسة[25]، لما اتته بيعة بني مرين عندما كانوا يقاتلون الموحدون في المغرب الاقصى، ودعا له عدد من ولاة الأندلس وبايعه أهل غرب الأندلس وإشبيلية [26] والمرية[27].

ولقد شهدت الدولة الحفصية أزهى عصورها ومجدها التليد في عهد أبي زكريا الذي يعتبر واضعا بناء الدولة القوية وموطدا أركانها، فلقد بلغت الدولة أقصى اتساعها وسمعتها

---

[20] نجيب زيبب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، ج2، ط1، دار الأمير بيروت، لبنان، 1995، ص411.

[21] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص758.

[22] ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص107.

[23] طنجة: مدينة عظيمة أزلية وهي على بعد 30ميلا على أعمدة هرقل و150ميلا عن فاس. ينظر إلى حسن الوزان: **وصف افريقيا**، تح محمد محي ومحمد الأقصر، ط2، دار الغرب الإسلامي، رباط، 1982، ص ص 313_314.

[24] سبتة: مدينة دعاها الرومان سيفطاس، أسسها الرومان في مدخل مضيق أعمدة هرقل. ينظر إلى حسن الوزان، المصدر السابق، ص31.

[25] سجلماسة: بنية سنة 140هـ، مدينة سهلية، ومدينة سجلماسة في أول الصحراء لا يعرف في غربيها وقبليها عمران. ينظر البكري: المصدر السابق، ص ص 148_149.

[26] إشبيلية: مدينة كبيرة بها قاعدة ملك الاندلس وسريره وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا. ينظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دط، دار صار، بيروت، 1988، ص195.

[27] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص753.

في عهد الأمير ابا زكريا [28]، ومن انجازات أبي زكريا، جامع القصبة الموجود حاليا بصومعته ذات الطابع المعماري الممتاز، وقد شرع في بناء هذا المسجد الجامع سنة **(629هـ/1232م)** وانتهى سنة **(633هـ/1236م)**، وكان أول من صدع فيه بالأذان عندما انتهت صومعته أبا زكريا نفسه، وذلك في شهر رمضان سنة **(630هـ/1233م)** [29]، كذلك المصلى الذي بناه خارج باب المنارة بتونس وجعل له أبراجا وشرائف كأنه بلد صغير، ومساحته قدر مساحة بنزرت[30]، بالإضافة إلى تحديد رسوم القصبة وبناء سوق العطارين والمدرسة الشماعية [31].

يمكن القول أنّ أبا زكريا اكتسب محبة الناس، وقرب إليه الفقهاء واستعان بهم، كما اهتم بالتعليم حيث فتح عدة مدارس، كما شكل قوة عسكرية في إفريقية لا يستهان بها.

وفي ليلة الجمعة **الثانية من جمادى الآخرة سنة (647هـ/1249م)** توفي المولى أبا زكريا يحيى [32] ودفن بجامع بونة إلى جانب الشيخ الصالح بن مروان عبد الملك اليحصبي، ثم نقل جسده بعد ذلك إلى قسنطينة ودفن بها[33].

3. الموقع الجغرافي للدولة الحفصية:

تونس مدينة إفريقية محدثة بنيت عام **(80هـ_699م)** تقع في سفح الجبل، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين البحر نحو أربعة أميال وبينها وبين قرطاجنة نحو عشرة أميال [34]، يحدها من جهة الغرب إقليم قسنطينة، ومن جهة الشرق إقليم طرابلس ومن الجنوب

---

[28] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص 28.

[29] محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص15.

[30] الزركشي: المصدر السابق، ص 25.

[31] محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص 158.

[32] الزركشي: المصدر السابق، ص 32.

[33] الشماع: المصدر السابق، ص60.

[34] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، بيروت، 1980، ص 143.

جبال الأطلس وإقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية، أما من الشمال فيحدها البحر الأبيض المتوسط [35].

ومن التسميات التي أطلقت على هذه المنطقة أيضا المغرب الأدنى، وكذلك تسمى إفريقية، وكان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، كانت عاصمتها مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهدية أيام الفاطميين، ثم مدينة تونس في العهد الحفصي [36]، كما أنها قاعدة البلاد البحرية وحاضرة السلاطين الحفصيين والمهاجرين من الأندلس والمغرب وغيرها.

يوصف أهلها بالقيام على الأمراء، أرضها كثيرة الجناة والمياه والزرع طيبة الفواكه يغلب عليها ماء البحر [37]، وبها مباني عجيبة أبواب دورها من رخام أبيض، وفيها جامع الزيتونة المكرم، مليح الصنعة حسن الوضع متقن البناء مطل على البحر وهو جامع كبير فيه 500 سارية من الرخام الأبيض، وأمام المحراب سوار مطليات الرؤوس بالذهب بناه عبد الله بن الحبحاب هو ودار الصناعة وهي دار علم وفقه[38].

كما تتميز مدينة تونس بموقع استراتيجي هام يطل على البحر الأبيض المتوسط من الناحية الشرقية والشمالية، إلى جانب طرقها الساحلية التي تربط بقية أقطار المغرب بالمشرق، كل هذا جعلها منطقة التقاء وتقابل ومفترق طرق، كما أن جميع القوى التي سيطرت أو حاولت السيطرة على المغرب اتخذت من تونس قاعدة لها لأنها تواجه الحوضين الشرقي والشمالي للبحر المتوسط [39].

---

[35] مارمول كربخال: **إفريقية**، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط ،1409_1984م، ج3، ص16، ينظر أيضا: الملحق رقم 02 ص 62.

[36] أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافة الجامعة الاسكندرية، 2001، ص 10.

[37] الحميري: المصدر السابق، ص143.

[38] الزهري: **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، ص 108.

[39] الراشد أحمد إسماعيل: **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2004، ص 87.

4. أبرز حكام الدولة الحفصية:

بعد وفاة أبو زكريا يحيى تولى حكم الدولة الحفصية ابنه عبد الله محمد المستنصر بويع في الليلة التي توفي فيها والده وذلك يوم **الجمعة التاسع والعشرين عام (647هـ/1249م)** وسنه آنذاك ثمانية عشر[40]، بويع أولا لبونة وكان أخذ له البيعة على الخاصة وسائر أهل العسكر عمة محمد اللحياني، ثم بويع بعد وصوله من لبونة إلى حضرة تونس وذلك يوم **الثلاثاء الثالث رجب عام (647هـ/1249م)** وهو ابن اثنين وعشرين سنة [41]، وسمي أولا بالأمير وفي سنة الخمسين سمي بأمير المؤمنين وتلقب بالمستنصر.

استطاع المستنصر أبو عبد الله محمد أبي زكريا الحفصي أن يطور الدولة ويجعلها مقصدا للعلماء والأدباء وأن تتخذ مكانة رفيعة على المستوى الدولي في زمانه، فجاءته السفارات من دول متعددة بعضها من السودان، والبعض الآخر من أوروبا، واهتم بالعاصمة وتطور العمران وازدهرت الأحوال العامة في أيامه وأصبحت أعز أيام الدولة الحفصية.

ومن أهم الأحداث التي عرفها عهد المستنصر بالله الهجمات النصرانية التي تعرضت لها الدولة الحفصية التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا سنة **(668هـ/1278م)** أي بعد عشرين سنة من غزوته الخائبة لمصر والتي أخفقت بسبب الوباء الذي عصف بحياة الملك نفسه [42]، ثم طلبوا الصلح فصالحهم السلطان على الانصراف من غير التعرض لجهة من المسلمين والهدنة خمسة عشر عاما، فتم الصلح [43]، وتوفي الخليفة المستنصر في **الحادي عشر من ذي الحجة عام (675هـ/1276م)** وعمره خمسون عاما وكانت خلافته ثمانية وعشرين عاما وخمسة أشهر وأحدا عشر يوما[44].

---

[40] الشماع المصدر: المصدر السابق، ص62

[41] الزركشي: المصدر السابق، ص33.

[42] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص765.

[43] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 129.

[44] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص49.

وبعد وفاته خلفه ابنه المولى أبو زكريا يحيى الواثق بويع صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده [45]، وكان أبو الواثق في أول أمره قد سرح المسجونين وأمر برفع المظالم وإحراق أزمة الخطايا والنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد وأحسن إلى الجند [46]، وفي **ربيع الثاني عام (678هـ/1279م)** خلع نفسه وسلم الأمر لعمه المولى أبي إسحاق إبراهيم، بايع له وخرج من القصبة [47]، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما ومات عام **(679هـ/1280م)** بعدما أعتقل ومات مسجونا[48].

وبعده بويع الأمير أبو حفص عمر بن المولى أبي زكريا يوم الاثنين عام **(683هـ _1284م)** بتونس [49] ،كان أبو حفص ملكا مدركا عاقلا فاضلا عارفا كريما متغاضيا لم يحدث منه عقوبة لأحد بعد دخوله لتونس، وكان له أصدقاء في الصالحين خصوصا الشيخ الولي الصالح أبي محمد المرجاني، حيث كان يعظم العلماء والفقهاء، وكانت أيامه أيام عدل وهناء ورخاء[50] ،ولم يزل على أكمل الحالات إلى أن استوفى مدته وأصابه وجعه الذي توفي منه، فعهد لابنه أبي محمد عبد الله من بعده، لكن لم يرضى عنه الموحدون لصغر سنه، فلما بلغه ذلك استشار الشيخ المرجاني فأشار عليه بتوليه بأي عصيدة فقبل بإشارته، وانتهى بذلك عهده وتوفي في **24من ذي الحجة (693هـ _1294م)** [51]، وكانت مدته أحد عشر عاما وثمانية أشهر غير يومين [52] وعمره آنذاك 52سنة.

---

[45] الشماع: المصدر السابق، ص 74.

[46] الزركشي: المصدر السابق، ص 42.

[47] الشماع: المصدر السابق، ص 75.

[48] الزركشي: المصدر السابق، ص42.

[49] الشماع: المصدر السابق، ص 81.

[50] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص132.

[51] الشماع: المصدر السابق، ص82.

[52] الزركشي: المصدر السابق، ص151.

بويع بعده أبي عصيدة في **22 من ذي الحجة** عام **(693هـ _1294م)** وكانت أيامه أيام هدنة وعافية وسلام لا حرب فيها غرست فيها الغرسات وبنيت فيها الأبراج، وامتدت الآمال وكل ذلك ببركة الولي المرجاني، تلقب أبو عصيدة بالمستنصر بالله وقتل الأمير ابن المولى حفص، ولم يزل في المهادنة والعافية إلى آخر مدته، فأصابه مرض الاستفتاء ومات به يوم **الثلاثاء 13 ربيع الثاني** عام **(709هـ _1308م)**، وكانت مدته أربعة عشر عاما وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ولم يخلف ابنا ذكرا [1].

بعد إلقاء القبض على الأمير خالد الذي دامت مدته عام واحد وتسعة أشهر فقط بويع أبي عباس أحمد بن المولى أبي عبد الله محمد يوم **السبت 12ربيع الثاني** عام **(772هـ_1370م)**، حيث كان شجاعا دينا عاقلا، سماحا متجاوزا حسن السيرة في البلاد والعباد، جال بلاد المغرب ووصل مع السلطان أبي سالم المريني إلى تلمسان وزار الشيخ أبي مدين وعاهد الله عنده أن لا يكافئ من عمل معه سوءا إلا بالخير، لما ملك إفريقيا رفع أنواع الفساد [2]، وفتح بلاد قفصة واستولى على أموالها، وافتتح توزر واحتوى ذخائر شيخها ابن لملول وعقد عليها لولده المولى المنتصر، وعند نزول النصارى على المهدية في الخامس من شهر شعبان **(792هـ_1390م)** وجه إليها السلطان أبو العباس جيشا عظيما ووجه معه ولده أبو فارس عبد العزيز الذي كان له فيها اليد الطولى فعلى صيته ونال منها البركة [3]، توفي الخليفة أبي العباس يوم **الاربعاء 3 شعبان** عام **(796هـ_1394م)** وعمره 67 سنة كانت مدة ولايته على تونس أربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرون يوما وسبق له بقسنطينة إحدى عشر سنة [4]، وخلفه بعد ذلك ابنه أبو فارس عبد العزيز الذي بويع بعد يوم من وفاة والده يوم **الخميس الرابع من شهر شعبان (796هـ_1394م)** برضا من الناس جميعا

---

[1] الشماع: المصدر السابق، ص 83.

[2] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص142_143.

[3] الشماع: المصدر السابق، ص ص110_111.

[4] الزركشي: المصدر السابق، ص 155

خاصتهم وعامتهم، قام المولى أبو فارس بالأمر فرتب الأحوال واستخلص الأموال وألّف بين إخوته، حيث كان ملكا شجاعا تقيا معتقدا الصالحين منذ أول نشأته موقرا للعلماء كثير الصدقات[1]، وصل في غزواته إلى جبل المياسرة القريب من الإسكندرية وأطاع له أهلها وافتتح مدينة تلمسان وخلع النصارى من جزيرة جربة وولاهم خائبين علم **(835هـ_1432م)**.

كان أبو فارس تاركا اللذات والرحلات مداوما على محاربة العداة إلى أن توفاه الله وهو مسافر إلى موضع يقال له أنجت ليلة عيد الأضحى عام **(837هـ_1434م)**، دفن إزاء قبر والده، وكانت مدة ولايته بتونس وجميع أفريقية واحد وأربعين عاما وأربعة أشهر وسبعة أيام[2].

وبوفاته تولى بعده ابن عمه أبو زكريا يحيى الحفصي بن المولى عبد الله المسعود، بويع يوم وفاة جده [3]، وفي عهده اضطربت الأحوال وعم الضعف والانحطاط بسبب الفتن الداخلية وكذلك التحرشات الإسبانية البرتغالية على سواحل المغرب العربي وخاصة المغرب الأدنى، وكانت مدة حكمه ستة سنوات [4].

[1] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ص 144_145.

[2] الشماع: المصدر السابق، ص ص 116_117.

[3] ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 149.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي: المرجع السابق، ص81.

الفصل الثاني:
المدن الإيطالية وأهميتها

تمهيد

1. ظهور المدن الإيطالية.

أ - جنوة.

ب - بيزة.

2. أهمية الموقع الجغرافي للمدن الإيطالية.

تمهيد:

لقد عاش الغرب الأوروبي منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الخامس ميلادي تطورات وتغيرات في المجالين الاقتصادي والسياسي، حيث برزت ايطاليا كقوى هامة في المنطقة [1] وذلك لعدة أسباب منها:

- الفتوحات الإسلامية التي كانت في القرن السابع ميلادي والتي شملت السواحل الغربية والشرقية والجنوبية للبحر المتوسط[2].
- العلاقات التجارية التي كانت بين الشرق والغرب، وذلك نظرا لأهمية بعض منتجات الشرق الأدنى بالنسبة لأوروبا حيث كان من بين أهم السلع التي كان الغرب في حاجة إليها البهارات والسكر والعطور والبخور والعاج والأحجار الكريمة والقطن، وكان الشرق في حاجة إلى بعض المواد الغربية مثل الاخشاب، الحديد والمعادن بصفة عامة، وكانت المدن الإيطالية جنوة وبيزة هي التي تقوم بعملية تصدير واستراد السلع والبضائع بين الشرق والغرب، كما أنه قامت علاقات تجارية واسعة بين كل من جنوة وبيزة من ناحية، والموانئ الإسلامية في الشمال الإفريقي من ناحية أخرى[3]، ومن بين الأسباب أيضا التي ساعدت على ازدياد النشاط التجاري لهذه المدن، الضعف والانقسام الذي أصاب العالم الإسلامي في ذلك الحين واستيلاء النورمانيين على صقلية [4] في منتصف القرن الحادي عشر، وترتب

---

[1] عادل زيتون: **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، ط1، دار دمشق، دمشق، 1980، ص28.

[2] جوزيف نسيم يوسف: **تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها**، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص ص 240_241.

[3] نفسه: ص ص 247_248.

[4] صقلية: جزيرة صقلية أقدارها خطيرة أعمالها كبيرة وبلادها كثيرة ومحاسنها جمة ومناقبها ضخمة. ينظر: الادريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 590. ينظر أيضا: ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، دط، دار النهضة للنشر، الجزائر، 2001، ص ص 296_297.

على ذلك انتقال السيادة البحرية في البحر الأبيض المتوسط من الدول البحرية الإسلامية إلى المدن الإيطالية[5].

- الحروب الصليبية التي شهدتها أوروبا بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر [6]، حيث نجحت المدن الإيطالية في احتكار تجارة الشرق الأدنى والبحر المتوسط وترتب على ذلك ازدهار هذه المدن وارتفاع شأنها، فإن الاحتكار الحربي بين الغرب الأوروبي والشرق العربي أدى في نفس الوقت إلى احتكار تجاري وتبادل السلع والبضائع وقد كان للجنويين والبيزيين دور ملموس فيها، حيث أسهموا بنفسهم وأساطيلهم في نقل الجند والعتاد من موانئ أوروبا إلى سواحل مصر والشام وموانئ شمال إفريقية فيما بعد، كما اشتركوا مع القوات الصليبية في الاستيلاء على الموانئ الشامية تحقيقا لمصالحهم وأطماعهم التجارية في المنطقة[7]، فالحروب الصليبية جعلت من جنوة وبيزة سيدة التجارة .

وبالتالي لعبت مدينتي جنوة وبيزة دورا هاما خاصة في المجال الاقتصادي منه التجاري نظرا للمعطيات السابقة حيث أصبحتا شريان الاقتصاد الأوروبي.

1. ظهور المدن الايطالية:

على حسب الدراسات المخصصة في التاريخ كانت الامبراطورية الرومانية أعظم وحدة حضارية وسياسية عرفها التاريخ، حيث لم يكن لها مثيل في قوتها واتساعها، إذ ضمت جميع

[5] جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص 248.

[6] جاك لوكوف: **هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط**، تعريب وتقديم محمد حناوي، يوسف نكادي، ط1، مطبعة منكرزنفة السنغال، 2015م، ص103.

[7] جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص 268.

مراكز الحضارات القديمة باستثناء فارس[8] والهند[9]، حيث امتدت حدودها في عهد الإمبراطور تراجان **(98_117 ق.م)** من المحيط الأطلسي غربا حتى الفرات شرقا، فشملت في الغرب بريطانيا وغالبا وايبيريا وإيطاليا، امتدت حدودها من المحيط الأطلسي حتى طرابلس، وضم الجزء الشرقي، البلقان وآسيا الصغرى وأعالي بلاد النهرين فضلا عن الشام ومصر وبرقة[10].

وترجع عظمة الإمبراطورية الرومانية إلى أن السلطة المركزية فيها استطاعت أن تحكم سيطرتها إلى حد ما على هذه المساحات الجغرافية الشاسعة[11].

وبدأ ضعف الإمبراطورية الرومانية يظهر بوضوح في القرن الثالث، وذلك من خلال انعدام النظام وسيطرت القوات العسكرية على الأباطرة وعزلهم، وكذا إقامة غيرهم بعد أن كان الجيش هامدا وفيا للإمبراطور، بالإضافة إلى تدهور الأوضاع الداخلية والخارجية، وكذا الصعاب التي واجهتها[12]، حيث أدت الهجومات الجرمانية المستمرة على الإمبراطورية الرومانية إلى إضعافها وانهيارها وسقوطها على يد الجرمانيين[13]، وكذا الفتوحات الإسلامية التي كانت في القرن السابع ميلادي والتي شملت الجوانب الشرقية والغربية والجنوبية للبحر المتوسط حيث أضحى البحر

---

[8] فارس: يحيط بها ما يلي الشرق حدود كرمان ومما يلي الغرب كور خوستان ومما يلي الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان. ينظر: ابن حوقل: **صورة الأرض**، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996م، ص243.

[9] الهند: منها في البر ومنها في البحر أما التي في البحر فجزائر كثيرة أعظمها واكبرها جزيرة كولمر، أما أديانهم فيشرعون بدين المجوسية يعبدون النار ولا يذبحون حيوانا ولا يأكلون لحما ولا يوجد عندهم القمح ولا الشعير ولا يعرفونها. ينظر: الزهري: المصدر السابق، ص ص 19_31.

[10] سعيد عبد الفتاح عاشور: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص07.

[11] نفسه، ص 08.

[12] سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ص 12_13.

[13] عبد الأمير محمد أمين، محمد توفيق حسين: **التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى**، دط، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978، ص 21.

المتوسط عائقا بعد أن كان رابط بين الشرق والغرب، كما اتخذوا من جزر البليار[1] وكورسيكا وسردينيا[2] وصقلية قواعد للأساطيل الإسلامية هذا على حسب رأي هنري بيرين[3]، ولكن أحدث البحوث التاريخية أثبتت عدم صحة نظرية هنري بيرين وهي أن التجارة لم تتوقف بين الشرق والغرب بسبب الفتح الإسلامي بل أنها استمرت على الرغم من سيطرة العرب على جانب كبير من حوض البحر المتوسط وعلى الرغم من تفوقهم البحري على دول الغرب [4]، فالدولة الإسلامية حافظت على كل الروابط الاقتصادية بينها وبين البلدان الغير إسلامية من خلال تشجيع الأنشطة التجارية وإنشاء مؤسسات مجهزة على التجارة الخارجية كالفنادق [5] لاستقبال التجار الأجانب المسيحيين وغيرهم[6]، فلقد تعرض شمال إيطاليا بداية من القرن الحادي عشر لتطورات اقتصادية وسياسية أدت إلى ظهور ونشأة القمونات[7] أو المدن ذات

---

[1] جزر البليار: هي الجزائر الشرقية أو جزائر شرقي الأندلس وهو الاسم الذي عرفت به تلك الجزر عند الفتح العربي، أخذت هذا الاسم من موقعها الكائن شرقي الأندلس، تتكون هذه الجزر من أربع هي: ميورقة، منورقة، ويابسة، وفرنتيرا، وميورقة أكبرها وهي عاصمة الجزر كلها. ينظر: عبد الرزاق حسين: **الأدب العربي في جزر البليار**، ط2، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م، ص 13.

[2] سردينيا: جزيرة على البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الحبال قليلة المياه وهي مدينة عامرة وقيل سميت سردينيا باسم ساردوسين هرقل الذي قصدها بجمع عظيم وافتتحها. ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص173.

[3] هنري بيرين: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)**، تر وتح عطية القوصي، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996، ص 10.

[4] جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص 241.

[5] الفنادق: عبارة عن مبنى إسلامي في أرض إسلامية تقدمه السلطات الإسلامية لرعايا دولة أو جمهورية أجنبية صديقة أو تربطها بها علاقات اقتصادية. ينظر: علي السيد علي: **العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996م، ص 78.

[6] نفسه: ص 77.

[7] القمونات: تعني المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي والحكم الذاتي، وفقا لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة التجارية، ويختار أهلها حكامهم أو موظفيهم بأنفسهم دون أن يكون هناك مندوب من قبل سيد أو حاكم خارجي يتحكم فيها. ينظر: عادل زيتون: المرجع السابق، ص30.

الكيان الاقتصادي والسياسي المستقل، وظهرت خلال هذا القرن جنوة وبيزة [1]كقوى مستقلة أخذت تسهم في الحروب الصليبية منذ نهاية القرن الحادي عشر إسهامات فعليا [2].

لقد ارتبط ظهور المدن الإيطالية وازدهارها تجاريا واقتصاديا بعدة عوامل منها:

- وقوع بعض المدن بجانب الأديرة الغنية، ونمو بعضها حول قصور الأسياد الذين كانوا يشكلون تكتلا اقتصاديا ضخما في تلك الحقبة من التاريخ الإيطالي، علاوة على ذلك فقد بنيت تلك المدن على مقاطع ومحطات تسهل من خلالها ازدهار تلك المدن تجاريا فمعظمها كانت تقع على مصبات الأنهار، فضلا عن المدن الواقعة مباشرة على البحر خاصة مدن الشمال الإيطالي التي ازدهرت تجارتها عن طريق التجارة البحرية التي لم يشهد تاريخ إيطاليا في العصور الوسطى ازدهار مماثلا لتلك الحقبة من التاريخ الإيطالي القديم، ولم تكن المدن الإيطالية كثيرة السكان، فبعظها لم يكن يتجاوز العشرة آلاف نسمة باستثناء المدن الضخمة مثل مدينة البندقية [3] ونابولي [4]وجنوة [5].

أ – مدينة جنوة:

هي مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام وهي مدينة قديمة البناء وافرة البشر[6]، تقع على ساحل لجوريا على البحر الأدرياتيكي وعاصمة لإقليم لجوريا وبوابة وسط وشمال

---

[1] الهدون الحامدي: **العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الايطالية من القرن 6_12م حتى القرن 10ه 16 م**، أطروحة دكتوراه، إشراف بن داود نصر الدين، جامعة تلمسان، 1439ه_1440ه /2018_2019م، ص 343، ينظر أيضا الملحق رقم 03 ص 63.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ص 289_290.

[3] البندقية: تقع في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة، والبنادقة هم طائفة مشهورة من الفرنج. ينظر: القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ص404.

[4] نابولي: مدينة كبيرة من بلاد الروم وبينها وبين مرسى مسيني جزيرة صقلية اثنان وثلاث ميلا، وهذه المدينة حسنة أولية غارة ذات أسواق نافعة السلع وافرة البضائع. ينظر: الحميري: المصدر السابق، ص571.

[5] نيفين ظافر حسيب الكردي: **الأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي بين القرن التاسع والقرن الحادي عشر**، رسالة ماجستير، رياض مصطفى أحمد شاهين، جامعة غزة، فلسطين، 1432ه، 2012م، ص 119.

[6] الحميري: المصدر السابق، ص173. ينظر أيضا: القلقشندي: المصدر السابق، ص 405.

غرب أوربا إلى جهة البحر المتوسط، وتتبط بإقليم بروفانس الفرنسي عن طريق ساحل لجوريا،[1] وأصلهم من نصارى العرب وهم قوم تجار في البحر من بلاد الشام إلى بلاد الأندلس [2] ،وهي مدينة كثيرة المزارع والقرى والعمارات [3]، وبيوتها تشبه الأبراج ومؤلفة من أربعة طوابق أو خمسة وشوارعها ضيقة وأهلها أهل جد وعمل [4]، ولها ميناء ممتاز ورصيف به برج ومنارة تظل موقدة طوال الليل ، يوجد على الشاطئ الآخر للميناء برج ثاني شديد الارتفاع وهو كذلك لديه منارة حتى لا يظل أحد عن مدخل المدينة [5]، ولها أسطول بحري قوي تهابه الدول المجاورة كما لهم معرفة بالطرق الحربية [6]، وقد تميزت جنوة بخصوصيات طبيعية متمثلة في موقعها على خليج عميق المياه بالإضافة إلى مضايقة جبال الألب الواقعة على حدودها جعل مجالها الجغرافي تكاد تنعدم فيه المساحات البسيطة تقريبا، وأصبح البحر هو المتنفس الوحيد للجنويين، فميز هاذا الواقع نمط العيش في المجتمع الجنوي أن يكون مرتبطا بالبحر بصفة أكبر [7]، واضطروا لممارسة التجارة نتيجة التضاريس التي صعبت على السكان الاشتغال بالزراعة وعربية المواشي فاندفعوا منذ عهودهم الأولى لممارسة التجارة، التي أكسبتها أهمية كبرى ضمن المدن الإيطالية، وتأتي هذه الأهمية من الناحية التجارية من خلال ممتلكاتها على البحر المتوسط من موانئ وبيوت وحقوق قانونية وجمارك وغيرها التي ساعدت على توسع التجارة

---

[1] مجدي يتين عبد العال عبد الله سلام: العلاقات التجارية بين دوبة بني مزين و الجمهوريات الإيطالية (جنوة، بيزة، البندقية) أطروحة دكتوراه، إشراف قاسم عبده قاسم، جامعة الزقازيق 2004-2005، ص 50.

[2] الزهري: المصدر السابق، ص77.

[3] الإدريسي: المصدر السابق، ص749.

[4] أهل جنوة: أهل هذه المدينة هم قريش يقال عنهم أن أصلهم من العرب المتنصرة هم قوم لايشبهون الروم في خلقتهم لأن الروم الغالب عليهم الشقرة وهؤلاء صم، لذلك قيل إنهم من العرب. ينظر: الزهري: المصدر السابق، ص ص 77 78.

[5] طافور: رحلة طافور، تر حسين الحبشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص10.

[6] الإدريسي: المصدر السابق، ص 750.

[7] الغربي بغداد: **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران، 1435هـ_1436هـ، 2014م_2014م، ص 172.

والتقليل من مخاطرها وتكلفتها، فعلى سبيل المثال تضاعفت تجارة جنوة في شمال إفريقيا أكثر من النصف بعد امتلاك مدينة لممتلكات في هذه المنطقة عام **557هـ_1161)**[1]، حيث في سنة **(559هـ_1163م)** وصل الجنوبيون إلى مدينة سلا المغربية مما يدل على نشاط جنوة البحري في الحوض البحر المتوسط[2].

ب – مدينة بيزة:

هي مدينة قديمة من المدن الإثني عشر المتحدة، تعرف في المصادر العربية راسم بيش أو بيخ أو بيجة [3]، تقع في مدينة تسكانيا [4] على ضفة نهر أورنو وعلى بعد ثلاثين كيلو متر إلى الغرب من مدينة فلورنسا، وتبعد عن البحر أحد عشر كيلو متر [5]، ويشق في وسطها نهر عظيم يسمى نهر بيجة [6]، ميناؤها الرئيسي هو ميناء لجهورن [7].

بيزة مدينة عامرة الأسواق والديار كثيرة البساتين والجنات متصلة الزراعات، معاقلها كثيرة وأرضها خصبة، مياهها وفيرة وأرضها عجيبة [8] وبها كنيسة مشهورة جدا ودير قد نقلت تربته من أرض المقدس الكريمة [9]، كما يعرف على أهلها أنهم قوم ذو شؤم وخيانة، يمتازون بحب المغامرة وخوض البحار وصناعة المراكب والسفن والالمام بفنون القتال والرمي، كما اشتهروا بصناعة السيوف الرفيعة اللينة والسفن الحربية، تتوفر لديهم كميات هائلة من الأخشاب التي

---

[1] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص156.

[2] عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م، ص 320.

[3] الزهري: المصدر السابق، ص 70.

[4] تسكانيا: تمتد أراضيها إلى داخل إيطاليا الوسطى وإلى جنوب منها نجد دوقية رومانيا وتضم فلورنسا أرشيو وبيزة. ينظر: الهدوم الحامدي: المرجع السابق، ص 147.

[5] القلقشندي: المصدر السابق، ص 111.

[6] الزهري: المصدر السابق، ص 78.

[7] طافور: المصدر السابق، ص 248.

[8] الحميري: المصدر السابق، ص 120. ينظر الإدريسي: المصدر السابق، ص 75.

[9] طافور: المصدر السابق، ص 248.

ساعدتهم على تشييد الأساطيل التجارية، كما أنهم يصدرون النحاس والزعفران والقطن ومختلف السلع لشتى البلدان[1].

أصبحت بيزة مستعمرة رومانية في القرن الثاني قبل الميلاد أعطى هنري الرابع [2] أهلها براءة منحهم بموجبها حقهم بعدم تعيين أي مركيز [3] في تسكانيا دون موافقتهم، وبعدها شكلت مدينة بيزة قوما مستقلا حل أية القناصلة محل السادة الإقطاعيين في إدارة شؤون المدينة [4]، وأصبحت بيزة من المدن البحرية الكبرى على كورسيا وسردينيا وسيطرت على تجارة شرق البحر الأبيض المتوسط[5].

كانت مدينة بيزة حليفة جنوة في كثير من الأحيان، حيث كانتا تمارسها نشاطهما العدواني معا لنيل المكاسب[6].

أما بالنسبة لعلاقتها مع المسلمين فقد بدأ البيازنة يحتكون بالمسلمين في المدن الساحلية المغربية منذ القرن العاشر، فكان يستلزم منهم الحرص على قدر الاستطاعة على إبقاء العلاقات الطيبة مع كافة المسلمين في مختلف مناطقهم حتى لا تتضرر مصالحهم الاقتصادية، فكانت

---

[1] الزهري: المصدر السابق، ص78.

[2] هنري الرابع: هو ابن الدوق لانكستر دوق فرنسا التي توج نفسه ملكا على انجلترا، وحصل على البرلمان على اعتراف بذلك، وكان عمليا حكيما. ينظر: يحيى جلال: **تاريخ اوروبا في العصور الحديثة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، مصر، 1984م، ص 117.

[3] مركيز: يعني الكونت الذي كان في عهد الكرولنجي المكلف بإدارة منطقة واسعة تقع في معظم الأحيان على الحدود، ينظر الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص161.

[4] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 33.

[5] موريس بيشوب: **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى**، تح علي السيد علي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص 218.

[6] ممدوح حسن: **الحروب الصليبية في شمال افريقيا وأثرها الحضاري سنة 668_796هـ، 1270م**، ط1، دار عمار للنشر، عمان، 1998م، ص 22.

العلاقة تجارية أحيانا وحربية أحيانا أخرى [1] ،كما كانت هناك علاقات خاصة بين البيازنة وبين صلاح الدين حيث سمح لهم بالتبادل التجاري، ذلك التبادل الذي كان له أحد أهم مظاهر جلب الإيطاليين العبيد إلى المغرب[2]، كما كان يقتضي منها الأمر أيضا مساعدة الصليبيين ضد المسلمين باعتبارهم مسيحيين مثلهم [3].

فبدأت بيزة مساعدتها للصليبيين منذ وصول الحملة الصليبية الأولى للمنطقة العربية عن طريق نقل الفرسان الصليبيين بسفنها إلى الشرق العربي، ونقل الأسلحة والمؤن والإمدادات لهم، ولم تكتفي بذلك فقط بل شاركت مشاركة حقيقية عن طريق تقديم المساعدة العسكرية للصليبيين في الاستيلاء على الموانئ البحرية لبلاد الشام، كما كان لها دور صناعي وتجاري نشط على التجارة الصليبية، لقد حملت سفنها منتجات المستعمرات الصليبية وكانت تصدرها إلى الغرب الأوروبي، وفي الحقيقة فإنه قد أحدث تغيير في الميزان التجاري لصالحها، فيمكننا القول أنه بفضل المساعدات الإيطالية الفعالة للصليبيين مكنتهم من الاستيلاء على الموانئ الإسلامية وأحكام الحصار على بعض المدن الساحلية، وبفضل الإمدادات المتتالية بالفرسان والأسلحة والسكان تمكن الصليبيين من إقامة مستعمرات دائمة، كما كانت بيزة وسيلة اتصال وإمداد بين الظهير الأوروبي والمستعمرات الأوروبية الجديدة[4].

والحقيقة أن الواقع الاقتصادي الذي كان وراء مشاركة المدن الإيطالية في الحروب الصليبية ظل يؤرقهم حتى النهاية، فرغم تمتعهم بالعديد من الامتيازات في المستعمرات الصليبية إلا أنه كثيرا ما قامت منازعات بينهم، واستخدمت المدن الإيطالية القوى العسكرية في فرض

---

[1] لطيفة بشاري: **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الامارة الزيانية من القرن (7 هـ إلى 10هـ _13إلى 16م)**، رسالة ماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1986_1987، ص116.

[2] حاتم عبد الرحمان الطحاوي: **الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1990م، ص 87.

[3] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص161.

[4] حاتم عبد الرحمان الطحاوي: المرجع السابق، ص ص 72، 93.

شروطها على بعضها البعض وسقط العديد من الإيطاليين في قتال مستمر بين مناطق نفوذهم من أجل الحصول على امتيازات تجارية أكثر من باقي المدن الأخرى لدرجة أن الإيطاليين كانوا يعيشون في سلام مع المسلمين عما يعيشونه مع بعضهم البعض[1].

كانت الحواضر في إيطاليا وخاصة مدينة فلورنسا التي ضمت بيزة من أوائل الحواضر في أوروبا، التي أصبحت فاحشة الثراء قوية نافذة طورت الرأس مالية التجارية والمالية ووسعت رقعتها [2]، وكانت هذه الثروة التي وصلت ذروتها في نهاية القرن الثالث عشر ميلادي نتيجة لعدة عوامل من بينها: احتكاك الغرب بالمشرق أثناء الحروب الصليبية، وزوال عصر الإقطاع في الغرب اللاتيني بحضارته الزراعية الريفية واقتصاده الطبيعي، ونشأة المدينة واقتصادها النقدي ونشاطها التجاري والصناعي، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الممتاز[3].

لقد ظل اهل بيزة من سنة **(498هـ _1100م إلى 898هـ_1500م)** أصحاب النصيب الأوفر من ملاحة البحر الأبيض المتوسط وتجارته ولم يتأثر مركزهم هذا إلى في القرن السادس عشر عندها انتقلت زمام الأمور من أيديهم إلى الإسبانيين والبرتغاليين والإنجليز والهلنديين، وكان ذلك بعد أن امتدت طرق النقل والتجارة الأوروبية إلى أركان المعمورة[4].

2. أهمية الموقع الجغرافي للمدن الإيطالية:

استمدت المدن الإيطالية كل من بيزة وجنوة أهميتها من موقعها الساحلي على البحر، فكانت حلقة اتصال بين الشرق والغرب وكان لهذا أثر واضح في انتعاش التجارة في العصور الوسطى[5]، فاستثمرت كل مدينة هذا الموقع الاستراتيجي استثمارا ذكيا، حيث يسر لها مركزها

---

[1] المرجع السابق، حاتم عبد الرحمان الطحاوي، ص 85.

[2] جورج قرم: **تاريخ اوروبا وبناء أسطورة الغرب**، تح رأى ذبيان، ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2011م، ص 147.

[3] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 162.

[4] ارشيبالد لويس: **القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (500_1100)**، تر أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، ص401.

[5] جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص 263.

بين الشرق والغرب الاستفادة أكثر من سائر الدول بالتجارة مع أوروبا وبيزنطة والشام وسائر بلاد المسلمين[1]، كما أكسبها وفرة البحارة المتمرسين والتجار الأكفاء النشطين الذين كانوا على اتصال دائم مع عرب إسبانيا وإفريقيا[2].

كان موقع كل من بيزة وجنوة الذي ضم سهل لمبارديا [3] ساهم كثيرا في الانتعاش التجاري البري البحري، ليس بسبب الحاجة للتبادل التجاري للزراعة والمحاصيل الزراعية فقط ولكن أيضا في الصناعات الجديدة، فكانت المواد الخام التي إلى مناطق التصنيع عن طريق البحر[4]، ففي إقليم تسكانيا اتصلت بعض المدن مثل فلورنسا مع بيزة بواسطة واد أرنو وقاسمتها ازدهارها، ووراء جنوة امتدت الحركة التجارية إلى ليون عند ساحل الغالي ووصلت إلى حوض الرون[5]، وبفضل هذا الموقع الذي تمتعت به الجمهوريات الإيطالية بيزة وجنوة أصبحت الصادرات الرئيسية للغرب الأوروبي على يد التجار الإيطاليين إلى بلدان شرق البحر وغربه وجنوبه [6]، وتزايدت الثروات وزادت ثروة هذه المدن وانعكس ذلك الثراء على تشييدات القصور والمخازن الضخمة والأرصفة الواسعة والحصون والأساطيل الضخمة المتعددة، ووسائل الدفاع القوية، واستعدادها لتدمير من يتعدى على تجارتها لاسيما القراصنة[7].

---

[1] محمود سعيد عمران: **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعة، 1988م، ص 167.

[2] هايد.ف: **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ج1، تر أحمد محمد رضى عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م، ص 111.

[3] لمبارديا: اللمبارديون كانوا آخر الشعوب الجرمانية التي اقتحمت الإمبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها وقد أقامت في القرن الأول عند وادي نهر الأودر والجزء الأدنى من نهر الألب إلى أن استولوا على تسكانيا والأجزاء الوسطى من إيطاليا فضلا عن السهول الشمالية ولصق بها اسم اللمبارديين حتى اليوم. ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ص 109_ 110.

[4] هنري بيرين: المرجع السابق، ص 37.

[5] نفسه، ص 37.

[6] عادل زيتون: **العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى**، دار دمشق للطباعة والنشر، القاهرة، 1980م، ص ص 43_44.

[7] حسن مؤنس: **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، ط2 مكتبة مدبولي، 1986م، ص 433.

الفصل الثالث:

العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية

تمهيد

1. المقومات التجارية

أ - المقومات التجارية للدولة الحفصية

ب - المقومات التجارية للمدن الإيطالية

2. العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة

أ - مع جنوة.

ب - مع بيزة

3. سقوط الدولة الحفصية

تمهيد:

كانت للدولة الحفصية ومدينتي جنوة وبيزة عدة مقومات مكنتها من تشكيل علاقات تجارية مع بعضها البعض، حيث قامت هذه العلاقات على أسس ثابتة تهدف إلى عقد اتفاقيات ومعاهدات تجارية بين الطرفين، كما تخللتها فترات انقطاع لكنها سرعان ما تعود إلى علاقاتها السلمية نظرا لأهميتها ومراعاة لمصالحهم التجارية.

1. المقومات التجارية:

أ – المقومات التجارية للدولة الحفصية:

- **<u>الزراعة:</u>** لقد كان العمل الزراعي في المغرب الإسلامي على الدورة الزراعية الثلاثية فالأرض بين بور و قليب، فالبور لا تصلح إلا بالقليب والقلب هو حرث الأرض مرتين إلى أربع مرات حسب الأرض ونوع الغرس، ويبدأ الأرض بحرارة الشمس وبالرغم من صعوبة هذا العمل إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنه لأن بعض المحاصيل لا يمكن أن أكثر إلا في أرض القليب كالقمح والعدس، فالفلاحون يزرعون أكثر من محصول واحد فنجد مثلا البقول مع الغروس والسمسم مع الزعفران وغيرها [1]، كما يستخدم الفلاح المحراث الخشبي البدائي المجهز بيكو معدنية كما استعملوا الثيران والجمال في عملية الحرث [2] والأساليب التي كانت متبعة في العصور السابقة فقد اعتمد السكان في جلب المياه على السواقي والجسور والسدود الترابية وتوزيعها بينهم عن طريق التداول والتناوب، متابعين في ذلك الطريقة التقليدية المعهودة منذ أزمنة بعيدة، ويتمثل ذلك في أن يسقي الأول فالأول أو الأعلى فالأعلى، فإذا اكتفى أرسل الماء إلى من تحته، الأمر الذي ترتبت عنه العديد من المنازعات والمشاحنات بين المنتفعين بهذه المياه المخصصة للري [3].

---

[1] عز الدين أحمد موسى: المرجع السابق، ص 122.

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص 241.

[3] حافظ حادة: **<u>الحياة الاقتصادية بإفريقية في العهد الحفصي من خلال نوازل البرزلي والونشريسي وكتب الحسبة</u>**، مجلة المشكاة، العدد السابع، 2009م، تونس، ص 505.

وفي عام **(675هـ_1249م)** قام السلطان الحفصي أبو زكريا يحيى بإنشاء القنطرة الشهيرة على وادي مليانة للحفاظ على مياه الأمطار وتوفيرها لري الأراضي الزراعية من الجفاف [4] ، كما ذكر أن السلطان المستنصر أبي زكريا الحفصي **(647_675هـ / 1249_1277م)** قد أتى بالماء من عيون زغوان القصرة المعروفة بأبي نهر وجعل بعض بساتينه جابية تشبه بحيرة، أجرى ماؤها القوارب وتعرف الان بجابية الحفاصة قرب أريانة بها ستمائة شجرة من الزيتون[5]، ولقد تنوع الإنتاج الفلاحي تنوعا كبيرا سواء في المجال النباتي أو الحيواني، فقد شمل الإنتاج النباتي أساسا الزراعات الكبرى مثل الحبوب والخضر والبقول والمقاثي، وكثيرا ما تعرض هاذا الإنتاج إلى العديد من الجوائح البشرية مثل اللصوص والآفات الطبيعية مثل القحط والجدب والجراد والدود، أما بالنسبة إلى الإنتاج الحيواني فقد شمل تربية الماشية والدواجن والحمام والنحل، كما احترف الكثير من السكان لاسيما سكان السواحل مهنة الصيد البحري الذي مثل في ذلك الوقت رافدا هاما من روافد الإنتاج الحيواني، كما كانت هناك وفرة خاصة من كميات لحوم الأسماك[6].

- **<u>الصناعة:</u>** إن من أهم الصناعات التي اشتهرت في العهد الحفصي نجد: صناعة النسيج على مختلف أصنافها كانت تمثل أهم الصناعات انتشارا، فيمكن القول مبدئيا أن جميع المدن المتوسطة أو الكبرى كانت تظن عددا من الناسجين وخياطي الملابس[7]، حيث نظم تونس عددا كبيرا من تجار القماش الذين يعتبرون أغنى سكان المدينة [8]، كما تصنع في تونس العملات الرفيعة المسماة بالعمامات التونسية وهي تحظى بشهرة واعتبار عند مسلمي

[4] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص 66.

[5] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص ص 63_64.

[6] حافظ حادة: المرجع السابق، ص ص 508_506.

[7] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص 241.

[8] حسن الوزان: المصدر السابق، ص 76.

إفريقيا جمعاء [1]، بالإضافة إلى القماش الإفريقي وهي ثياب رفاع من القطن والكتان معا أو من الكتان وحده وهو أفضل من المضافي البغدادي وأحسن ومنه جل كساوي أهل المغرب[2].

أما بالنسبة لصناعة الخزف فقد كان هناك مركزين وحيدين هما قفصة وسوسة فقد كان سكان سوسة يصنعون القصات وعددا كبيرا من أنواع الأوعية لتلبية حاجات كامل المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد التونسية، أما قفصة فقد كانت مشهورة سابقا بزجاجها وأوانيها الذهبية [3].

أما بالنسبة للمعادن فنجد الحديد في مدينة بجاية [4]، كما يوجد في جبال بجاية الحديد الذي يصنع منه سبائك صغيرة تزن الواحدة منها نصف رطل وتستعمل كعملة [5]، ومن أهم المناجم التي كانت مستغلة في إفريقية في العهد الحفصي هو منجم الرصاص الواقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب شرق مدينة تونس[6].

- **<u>الطرق البحرية والبرية</u>:** شهدت التجارة الخارجية تطورا ملحوظا في العهد الحفصي فازدهرت التجارة الأوروبية في الحوض المتوسط الغربي وأصبحت الدول النصرانية تخاطب في مراسلاتها ولاة تونس بشكل مباشر بعد أن كان ذلك يتم عن طريق مراكش عاصمة الموحدين.

كما ارتبطت بلاد إفريقية بصلات تجارية وثيقة مع البلاد المجاورة وساعدها على ذلك وجود شبكة من الطرق التجارية البحرية والبرية [7]، كان تطور التجارة البحرية في منطقة

---

[1] مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص 21.

[2] القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 102.

[3] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص 102.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.

[5] الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 102.

[6] روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج 2، ص 240.

[7] مريم محمد عبد الله جبود: المرجع السابق، ص 83.

المغرب الأدنى نتيجة غير مباشرة للغزو الهلالي لما سببه الغزاة من تخريب للمدن والحواضر[1].

ومن أهم الطرق البحرية التي ربطت بين إفريقية والبلاد المجاورة لها الطريق البحري بين مصر وإفريقية ويبدأ من الإسكندرية إلى طرابلس ثم إلى تونس ومنها إلى بقية موانئ المغرب، كما كانت التجارة القادمة من الغرب إلى الشرق التي كان يجلبها سكان البحر تسلك طريق موانئ إفريقية ثم الفرما ومنها إلى الهند والصين في طريق العودة يسلكون نفس الطريق[2].

أما الطريق الرابط بين إفريقية وبقية بلاد المغرب كان امتدادا للطريق البحري نحو المشـــرق فكان من طرابلس إلى تونس إلى بجاية وينتهي إلى مدينة طنجة، وقد كان هذا الطريق أكثر الطرق البحرية أهمية أمام التجار المسلمين المسافرين خاصة بعد أن استطاعت الامبراطورية البيزنطية انتزاع جزيرتي كريت وقبرص من أيدي المسلمين، وازدادت أهمية بعد تحول طرق التجارة الدولية الواصلة إلى الهند والصين من العراق والخليج الفارسي إلى مصر والبحر الأحمر، مما دفع الحجاج والتجار المغاربة إلى سلوك هذا الطريق[3].

كما وجدت خطوط بين إفريقية والأندلس، فكانت السفن تقلع من موانئ تونس اتجاه موانئ الأندلس إلى مدينة سبتة لأنها كانت جسر العبور الأساسي إلى الأندلس[4].

وعلى الرغم من أن هذه الطرق لم تتبدل على طول شاطئ المتوسط عبر زمن السيادة الإسلامية إلا أنها تبعيتها اختلفت، فتونس لم تكن محطة شعبية بالنسبة للسفن خلال القرن العاشر ميلادي، وكان هذا بسبب العداوة الأموية والفاطمية قبل عام **969م**، ولكن الأمر اختلف في القرن الحادي عشر ميلادي حيث غدت تونس سوقا مهمة للسلع والتجارة، ومن

---

[1] جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها مع الشرق في العصر الوسيط**، تر محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1991م، ص 328.

[2] مريم محمد عبد الله جبودة: ص 85.

[3] ارشيبالد لويس: المرجع السابق، ص 251.

[4] مريم محمد عبد الله جبودة، المرجع السابق، ص 86.

الملاحظ أن تلك الطرق ازدادت ازدهارا في ظل النظام الحفصي نتيجة لخضوع المنطقة بكاملها لسلطة واحدة[1].

كما كانت أحوال الطقس تلعب دورا كبيرا في تعداد خيارات الطرق فقد يكون عبور البحر في مياه مائجة شاقا وبغيضا شتاء، ولذلك قد يضطر التجار إلى متابعة رحلتهم برا بواسطة قوافل إلى المكان المقصود خاصة وأن المضائق كانت ضيقة جدا[2].

أما بالنسبة للطرق البرية الرئيسية الرابطة بين إفريقية وبقية البلاد المجاورة لها لم تتبدل عبر مر العصور فهي تكاد تكون نفسها التي رسمها البكري في كتابه "المسالك والممالك" في العهد الموحدي والتي ذكرها ابن بطوطة والقلقشندي في العهد الحفصي فقد كان هناك طريقان شرقيان ربطان إفريقية بما يجاورها أولهما:

- الطريق البرية الرابطة بين مدن ومرافئ بلاد إفريقية إلى أن تصل إلى الإسكندرية، وكانت تعتبر أسرع الطرق البرية إذ وصفت بالطريق الجادة أو السريعة.
- أما الطريق الثاني هو الطريق الشرقي الداخلي الذي يربط بين المدن الإفريقية الساحلية مع بقية مدنها الداخلية [3].
- أما عن الطريق الغربية التي تصل إفريقية مع بقية بلا الأوسط الأقصى فهناك طريقان أيضا:

*الطريق الغربية الساحلية التي تمتد في أغلبها محاذية ساحل البحر المتوسط وهي امتداد للطريق الشرقية الساحلية الشرقية[4].

*الطريق الغربية الداخلية التي تمر عبر الهضاب الوسطى من بلاد المغرب[5].

---

[1] اوليفا كونستيل: **التجارة في الأندلس**، تع فيصل عبد الله، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م، ص ص 54 _74.

[2] المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م، ص 286.

[3] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 65.

[4] مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص 110.

[5] الإدريسي: المصدر السابق، ص ص 277_278.

ونجد أن هذين الطريقين يؤمنان الاتصال بسواحل المغرب ووسطه وجنوبه، وعند اتصال هذه الطرق بعضها ببعض تكون قد كونت شبكة طرق تكونت منها دورة التيارات العظمى للتجارة الدولية.

كما كانت تتفرع عدة طرق فرعية من تونس حيث يستمر الطريق الساحلي في امتداده مع الساحل بينما ينعرج الداخلي قليلا إلى الداخل إلى قسنطينة ويمتد الطريق الساحلي إلى أن يصل إلى بجاية وبينهما سبعون ميلا في البر وتسعون ميلا في البحر ويستمر إلى أن يصل إلى الجزائر مرورا بتدلس.

كما كانت تسيير القوافل التجارية الذاهبة من المدن الساحلية الإفريقية إلى جنوب الصحراء عن طريق جبل نفوسة، أو من بجاية إلى قابس عن طريق الطريقين الجنوبية الشرقية[1].

أما الاتصال بين المغرب وبلاد السودان كان يتم عبر سجلماسة، إذ كانت القوافل تسيير من سجلماسة على الطريق المؤدية إلى تغزا ثم إلى أودغشت ومن هنالك إلى غانة[2].

- **<u>الموانئ</u>:**

***بجاية:** تقع بجاية على جبل حيث لها دار لصناعة المراكب وانشاء السفن، وبينها وبين صقلية ثلاثة مجار وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة [3]، حيث تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين، ومن الإسكندرية وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها [4] ،حيث لعبت هذه المدينة أهمية كبرى في المجال التجاري نظرا لموقعها.

[1] مريم عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص 100.

[2] ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91، ينظر الملحق رقم 04 ص 64.

[3] الحميري: المصدر السابق، ص 81.

[4] مجهول: المصدر السابق، ص 277.

***المهدية:** هي مدينة يحيط بها البحر من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربي ولها مرسى مخصص المراكب حيث يسع ثلاثين مركب، وكان على المرسى برجين بينهما سلسلة حديد، واستعمل لحماية السفن من مراكب الروم من صقلية وغيرها [1]، حيث كانت محل إقلاع ورسو للسفن الحجازية الآتية إليها من المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها من البلدان [2].

***القل:** مدينة على ساحل البحر المتوسط وهي مدينة متحضرة مليئة بالصناع، وتجارتهم رابحة لأنهم يجنون من حيالهم الكثير من الشمع ويمتلكون كمية عظيمة من الجلود يبادلون بها البضائع التي يحملها أهل جنوة إلى مينائهم، حيث لا يوجد في تونس مدينة أغنى من القل لأنها بدأت تحقق في تجارتها مع الجنويين أضعاف ما تعطيهم إياهم ثم تبيع بالتقسيط في الجبال المجاورة البضائع المأخوذة من الجنوبيين محققة بذلك أرباحا طائلة [3].

***سكيكدة:** مدينة أزلية على ساحل البحر بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا خربها القوط في الزمن الغابر إلا أن أمير قسنطينة نظرا لمينائها الجيد، أمر ببناء منازل ومخازن للجنويين الذين كانوا يتاجرون في البلاد بل أنشأ لهم أيضا قرية في أعلى جبل مجادر يقيم بها حارس على الدوام للأخبار بالسفن المتجهة إلى الميناء، يتاجر سكان جبل سكيكدة كثيرا مع الجنويين، فيدفعون لهم القمح مقابل الأقمشة وغيرها من منتوجات أوروبا [4].

ب – المقومات التجارية للمدن الإيطالية:

- **<u>الزراعة</u>:**

[1] نفسه: ص ص 117_118.

[2] الإدريسي: المصدر السابق، 281.

[3] الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 54.

[4] الوزان: المصدر السابق، ص ص 54_55.

منذ بداية القرن الحادي عشر ميلادي أخذت الأمور تتحسن حيث تزايد عدد السكان، وتمت زراعة بعض الأراضي الجديدة، إما بالنسبة للأراضي القديمة فبدأت تنتج أكثر، كما تم إدخال تقنيات زراعية جديدة، كما تطور علم الأسمدة، أما بالنسبة للإنتاج الحيواني فقد تطور عن طريق الانتقاء والتهجين وتمت الاستفادة من قوة المياه في إدارة طواحين الفلال، وانتشرت طواحين الهواء في السهول والمرتفعات[1].

أما بالنسبة للطريقة الزراعية المتبعة فلقد كان المزارعون يتبعون نظاما معينا للمحافظة على خصوبة الأرض الزراعية، وذلك من خلال الدورة الزراعية حيث يتركون حقلا أو اثنين من الحقول دون زراعتها لكي تستعيد خصوبتها ومن ثم يزيد إنتاجها، كما قاموا بتحويل بعض المساحات الشاسعة التي تشغلها الغابات وتغطيها المستنقعات إلى أراضي زراعية[2].

كما استخدم الفلاحون المحاريث ذات السهام الحديدية التي تجرها الثيران في حراثة الأرض بالإضافة إلى محاريث ذات السهام الخشبية[3].

- **الصناعة:** من بين الصناعات التي كانت في المدن الإيطالية مع توفر المعادن نجد صناعة الأسلحة، حيث استخدموا الحديد المطاوع والحديد الزهر في أعمالهم، كما كانت هناك صناعة صب الأجراس، حيث كانت من الصناعات الهامة وذلك لاحتياج الكنائس وأبراج المدن إليها[4]، حيث اشتهرت بيزة بجودة حديدها[5]، كما تطورت صناعة الأقمشة حيث أنتجت مدينة جنوة الحرير بخيوطه الذهبية بالإضافة إلى المخمل (القطيفة)[6].

---

[1] موريس بوشيب: المرجع السابق، ص 205.

[2] نورمان ف.كانتور: **التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية**، ج1، تر وتع قاسم عبده قاسم، ط5، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د م، 1997م، ص 310.

[3] محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص 411.

[4] محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص ص 160_ 161.

[5] القلقشندي: المرجع السابق، ص 161.

[6] محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص 161.

أما بالنسبة لصناعة الزجاج بدأت منذ بدايات القرن الثاني عشر ميلادي في الظهور، وذلك من خلال زجاج النوافذ الملون الذي كان في الكنائس[1]، ومن الزجاج صنعت المرايا والنوافذ وبعض الأواني[2]، كما كانت المدن الإيطالية تنتج الفطائر وبسكويت البحار الذي كان ربما يصدر إلى الخارج[3].

- **التجارة:** من أهم عوامل الازدهار التجاري للمدن الإيطالية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، هو التطور الكبير الذي حدث في التنظيمات التجارية للمقومات الإيطالية (جنوة وبيزة)، وذلك بظهور الشركات التجارية وتطور أشكال العقود التجارية، فقد خضعت التجارة الإيطالية عبر البحر المتوسط إلى بعض الظروف، أبرزها الأخطار الناتجة عن القرصنة في البحر والحروب والمنافسات التجارية بين الدول التجارية نفسها، وهذا كله منع التجار من المتاجرة كأفراد بأنفسهم، ولهذا ظهرت أنواع من الشركات التجارية استهدفت تمويل التجارة الخارجية خاصة عبر البحر المتوسط[4]، ويعتبر التجار الإيطاليون من الأوائل الذين استعملوا الشركات التجارية، ويعود ذلك إلى ازدهار النشاط التجاري في المدن الإيطالية، حيث ظهرت في مدينة جنوة منذ أوساط القرن الثاني عشر[5]، بالإضافة إلى العقود التجارية التي كانت متنوعة نذكر منها:

***عقود الزمالة:**

والتي كانت تعرف في المدن الإيطالية بـ: Commenda أي بمعنى الزمالة وهي من أبرز العقود التجارية التي استخدمتها المدن الإيطالية بصفة عامة وجنوة بصفة خاصة لتمويل مشاريعها التجارية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وهي عقود تجارية رسمية تم توفيرها

[1] موريس بيشوب: المرجع السابق، ص 209.

[2] محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص 163.

[3] موريس بيشوب: المرجع السابق، ص 209.

[4] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 35.

[5] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 35.

بين تاجرين، أولهما مقيم في المدينة كجنوة مثلا ويسمى Stnas ويساهم بكامل رأس مال المشروع التجاري وثانيهما الشريك المسافر والذي يسمى الـ Tactaton، وهو لا يساهم بأي مبلغ رأس المال دائما مهمته استثمار الأموال فيها ما وراء البحار بعمل تجاري يعينه الطرف الأول، وكان الطرف الثاني يتحمل مسؤولية كل الأضرار والمخاطر الناتجة عن الرحلة في حين كان الطرف الأول يتحمل مسؤولية كافة الخسائر التي تلحق برأس المال، وبعد الرجوع كان الطرفان يتقاسمان أرباح المشروع التجاري وفق نسب اتفقا عليها مسبقا[1].

***العقود البحرية:**

انتشر هذا النوع من العقود التجارية في المدن الإيطالية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وقد تم توقيعها بين طرفين الأول الـ Stand وهو يساهم بـ 2/3 من رأس المال اللازم للمشروع التجاري، والثاني الـ Tactatorوهو الذي سيقوم بعملية استثمار الأموال فيما وراء البحار ويساهم بـ 1/3 الباقي من رأس المال اللازم، وفي هذا النوع من العقود يحق للمستثمر أن يقرر المكان الذي يجب أن يتجه إليه الشريك الثاني، في حين يجب على الشريك الأول أن يتحمل مسؤولية بيع كل المتاجر التي يجلبها الشريك الثاني معه من رحلته، وفي هذا النوع من العقود تكون الأرباح مناصفة بين الشريكين المتعاقدين[2].

***عقود السفينة:**

حيث انتشرت في جنوة بصفة خاصة وهي أن يقوم عدد من التجار باستئجار سفينة تجارية من حكومة المدينة (جنوة) لرحلة تجارية واحدة أو أن عدد من التجار بشراء سفينة تجارية عن طريق المشاركة، وفي هذه الحالة فإن التجار سيعملون على تأمين الحماية لأنفسهم

[1] عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 37_38.

[2] نفسه: ص ص 37_38.

ولسفينتهم ومتاجرهم وبذلك تضاءلت نسبة الخسائر في مثل هذه العقود التجارية لأن الخسائر كانت توزع في حال حدوثها وفقا لأسهم المشتركين في السفينة[1].

***شبكة الطرق البرية والبحرية:**

لم يكن الطريق أمام تاجر العصور الوسطى ممهدا وسهلا بل كان محفوف بالكثير من المخاطر والمتاعب، فوسائل النقل آنذاك كانت بطيئة وقليلة وكثيرا ما آذاه أتباعه وعملاؤه ومنافسوه بالخيانة والمعاملة السيئة[2]، فكثيرا ما تعرضت هذه الطرقات لنهب الأمراء والجند المأجورين والمجرمين، حتى وجد التجار أنه لابد عليهم من الاعتماد على أنفسهم لحماية أرواحهم وبصنائعهم، لذلك كان التاجر الكبير يستأجر بعض الحراس المسلحين لحراسة متاجرة عند نقلها من مكان لآخر، وفي أغلب الأحيان يتجمع التجار عند سفرهم على هيئة قوافل لصد أي عدوان مشترك، أما عن حالة هذه الطرق فقد كانت المدن الإيطالية أول من اهتمت برصها وتبليطها وشفت بها قنوات لتصريف المياه المستعملة، وثم تزيينها بمجموعة من المعالم من تماثيل وغيرها[3].

وقد كان للقرن الثالث عشر ميلادي أهمية خاصة، إذ احدثت تغييرات هامة في الطرق التجارية واوجدت طرقا جديدة بدلا من الطرق القديمة، وكان لهذا أثر في ازدياد النشاط التجاري لكل من بيزة وجنوة[4]، ولعل أهم مكسب تحقق لصالح التجارة البرية تمثل في تشييد عدد من القناطر على بعض الأودية، أشهرها على الاطلاق الجسر المعلق الذي تم إنجازه سنة **1237م**، عبر ممر كوثار في جبال الألب الذي سمح بتقليص المسافة بين إيطاليا وألمانيا[5].

---

[1] عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 39_40.

[2] نعيم زكي فهمي: **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ص 259.

[3] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 166.

[4] جوزيف نسيم: المرجع السابق، 249.

[5] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 167.

كما استخدم الجنويين والبيازنة ممرات جبال الألب كطريق للتجارة مع شمال أوروبا[1]، وسعت قوميات العصر الوسيط جاهدة من أجل التشجيع على إنشاء الطرق وتأمينها، إذ وضعت السلطة الحكومية في حساباتها إصلاح الطرق التجارية الرئيسية[2]، حيث استدركت مع مرور الوقت أهمية الطرق الصالحة للاستخدام بشكل كبير، وحتى الكنيسة اهتمت بهذه المشكلة، وأخذت على عاتقها إنشاء الطرق وصيانتها، وأعلنت أن رعاية الطرق تعتبر من أعمال البر والتقوى التي يحتوى عليها صاحبها بحسن الثواب والغفران، لذلك وجدت من بين المنظمات الدينية في العصور الوسطى منظمة عرفت باسم "إخوان الجسر" الغرض منها، الإسهام في بناء الجسور على الأنهار وصيانتها[3]، لقد أصبح بناء الجسور أكثر أهمية من صيانة الطرق، فبدون الجسور تصبح الأنهار الكبرى موانع متعبة للغاية، وكانت عملية بناء الجسور على نفقة البرجوازيين[4]، رغم ذلك كان التجار يفضلون استعمال المجاري المائية فاستعملوا الأنهار كما استعملوا البحار رغم المخاطر، حيث أصبحت القوارب والناقلات النهرية على درجة من الكثرة فاستلزمت قيام موانئ نهرية ونقابات لعمال النقل المائي في كل من بيزة وجنوة[5].

كان الناس أكثر استخداما للمسالك المائية فأصبحت ذات شأن عظيم في نقل البضائع لأن الطرق البرية كانت كثيرة المتاعب، في حين كانت السفينة الواحدة تحمل ما تحمله خمسمائة دابة وتراوحت حمولة السفينة ما بين مائتي طن وستمائة ومن أجل ذلك كانت الأنهار منتشرة من الغرب إلى الشرق وكان مسار هذه الأنهار ومصباتها العامل الأساسي في انتشار السكان ونمو المدن، فقد بنيت حواجز وأرصفة وكراسي في أماكن ملائمة من هذه الأنهار،

[1] نورمان.ف كانتور: المرجع السابق، ج1، ص 321.

[2] هنري بيرين: المرجع السابق، ص 91.

[3] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 167.

[4] هنري بيرين: المرجع السابق، ص 91.

[5] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 167.

كما قاموا بحفر قنوات والتي ازداد عددها خلال القرن الثالث عشر ميلادي بدرجة مذهلة تشهد على النشاط التجاري، كما حافظوا على مستوى المياه في الارتفاع الضروري بواسطة بناء سدود خشبية، أما عن التكاليف الضرورية لإنشاء وتشييد القنوات تقع على كاهل المدن وفي أحيان أخرى على كاهل التجار[1].

وكان لهذه المسالك البحرية أهميتها حيث استمرت المدن الإيطالية كل من بيزة وجنوة في استخدام المراكب الخشبية الضخمة والعريضة والثقيلة البطيئة الحركة في نقل البضائع العادية الحبوب والقطن والمنتوجات الزراعية وغيرها، بالإضافة إلى اعتمادها على المراكب الشراعية المجهزة بالمجاذيف للمهمات التي تتطلب سهولة المناورة وسرعة الحركة، كما كانت هناك المراكب الحربية التقليدية التي كانت بمثابة العمود الفقري للأساطيل الحربية وحماية السفن التجارية من خطر القراصنة[2].

تحسنت وسائل الملاحة رغم أن السفن الحربية كانت لاتزال تعتمد على التجديف، إلا أن السفن التجارية قد أخذت في استخدام سفن مجهزة بأجهزة تسمح لها بالابتعاد عن الساحل وتسمح لها بالالتفاف، وبوصلة تسمح لها بمعرفة الاتجاهات، فبعد ذلك أصبح من السهل بناء سفن كبيرة يمكنها أن تسير في أعالي البحار[3].

كما أدت إقامة الموانئ إلى بناء سقائف ووجود مخازن ومنادل لتفريغ حمولة السفن، واعتبرت تلك الموانئ في بيزة وجنوة الأكثر أمنا والأحسن إدارة في جميع أوروبا[4].

بالإضافة إلى الملاحة الساحلية التي عرفت عند الإيطاليين والمقصود بها الانتقال من مرفأ إلى مرفأ، ومن جزيرة إلى جزيرة دون الابتعاد عن الشاطئ كثيرا ودون فقدان رؤية اليابسة

---

[1] هنري بيرين: المرجع السابق، ص ص 91_92.

[2] سمير علي الخادم: **الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط 1450_1517**، ط 1، مؤسسة دار الريحاني، 1919م، ص ص 113 _114.

[3] يحيى جلال: المرجع السابق، ص 155.

[4] هنري بيرين: المرجع السابق، ص 92.

بالعين المجردة، وقد برعت كل من بيزة وجنوة في هذا النوع من الملاحة وكانت أساطيلهم تبحر إلى شرقي المتوسط وغربه والجة الشواطئ ومتجنبة عرض البحر، فكان الإيطاليون أسيادا في الملاحة، كما كانوا أساتذة للبرتغاليين والإسبان، غير أن طبيعة الشواطئ جعلت البحارة الإيطاليون يميلون إلى الملاحة الساحلية لقرب المرافئ والجزر من بعضها البعض والانفلات بسهولة من القراصنة إلى بر الأمان[1].

كما عمدت الجمهوريات الإيطالية إلى تغيير شبكة طرقاتها البحرية التي توصلها إلى مختلف الموانئ خاصة الإسلامية منها بسبب التعطش إلى الذهب والعوز المتزايد للمعدن الثمين، وبدأت المناجم الإيطالية لا تفي بالحاجة لأن الطلب كان يفوق العرض باستمرار، فكانوا يأتون بالذهب من منطقة السودان على قوافل إلى موانئ مصر والمغرب[2]، كما كان لجنوة أسطولا مخصص للشرق وآخر مخصص للغرب فقد كرست اهتماما كبيرا بهم.

بالإضافة إلى ذلك كانت قافلة تنطلق من جنوة باتجاه تونس وتتجه شرقا على محاذاة الشاطئ حتى الإسكندرية ومنها إلى المرافئ الشمالية ومن تونس كانت أيضا تتجه المراكب الجنوية غربا عبر مضيق جبل طارق إلى الشواطئ الغربية لإفريقيا[3].

***الأسطول التجاري:**

يعتبر تطور الملاحة عاملا هاما من عوامل ازدهار النشاط التجاري للمدن الإيطالية، وقد أدركت جنوة وبيزة أن نشاطها التجاري ومستقبلها يتوقف على بناء أساطيلها التجارية وتطويرها من جهة، وعلى تنظيم قوافلها التجارية البحرية وحمايتها من جهة أخرى، ولهذا فقد اهتمت اهتماما بالغا بصناعة السفن التجارية وإعداد الملاحين وتنظيم الرحلات التجارية البحرية[4]، فقد كان الأسطول البحري بالنسبة للجمهوريات الإيطالية عماد قوتها وعصر حياتها لأنه يؤمن حياة البلاد ويوجد سلطانها على مستعمراتها، كما أنه يحمي تجارتها ومواردها

[1] سمير علي الخادم: المرجع السابق، ص ص، 27_28.

[2] نور الدين حاطوم: **تاريخ عصر النهضة الأوروبية**، دار الفكر، الكويت، ص ص 145_ 146.

[3] سمير علي الخادم: المرجع السابق، ص 151.

[4] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 55.

ومصالحها لذلك امتلكت هذه الجمهوريات أساطيل دائمة ودار للصناعة تعمل باستمرار لبناء مراكب جديدة تسد حاجة الدولة إليها، بالإضافة إلى أنهم كانوا مفطورين على ركوب البحر وبارعين في قيادة السفن واستعمال أسلحتها، لذلك كان أسطول المدن والجمهوريات الإيطالية عاملا إيجابيا ساهم في بنائها واستمرارها[1].

تبعت الجمهوريات الإيطالية قانونا بحريا من أجل حماية التجارة وتنظيم القضايا التي تترتب عليها، فأقاموا سلطات قضائية خاصة، وقنصليات بحرية داخل السفينة وقنصليات عادية ومحاكم البحر في المدن البحرية، وظهرت وثائق التأمين البحرية لضمان قيمة السفن والحمولة، بينما تكلفت الحكومات بشن الحرب ضد القرصنة التي كانت نشطة أحيانا، وقد ساعد على انتشار التجارة البحرية إلى حد كبير ما طرأ من تحسن في بناء السفن، فضلا عن إقامة المنارات في المدن الساحلية إرشاد السفن، كما كان لكثير من هذه المدن أحواض واسعة لإيواء السفن[2].

فقد ظهرت أنواع جديدة من المراكب في المتوسط إلى جانب المراكب القديمة استخدمتها الجمهوريات الإيطالية والمعروف بالسفن المستديرة **Round shop**، وقد بنيت لتعمر أطول فترة ممكنة، وتستخدم في نقل الشاحنات الثقيلة، وهي تعتمد على الشراع، وكذا السفن الطويلة**Gallego**، وقد بنيت لأغراض حربية، وكانت مجهزة بالمجاديف وهي أقل ارتفاعا وأقل اتساعا من الأولى، استخدمت جنوة في رحلاتها التجارية السفن الشراعية والتي تسمى **Navidad نافيس** أو **Nefeau** أو**Nave** وكذا السفن الشراعية المزودة بمجداف أو بمجدافين والتي تسمى **Sagiha**، كما استخدمت نوع آخر يسمى **Tartana**، وهو أثقل من نافيس، وكان مزودة بالمجاديف والشراع[3]، كما استطاعت الجمهوريات الإيطالية أن تبني أسطولا لخدمة تجارتها، واهتمت به حتى أصبح من أعظم الأساطيل في حوض البحر

[1] سمير علي الخادم: المرجع السابق، ص ص 53_54.

[2] الهدون الحامدي: المرجع السابق، ص 192.

[3] عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 55، 57.

المتوسط، واستطاعت عن طريق تلك التجارة أن تكون ثروات هائلة[1]، كما حرصت على ضمان راحة التجار والمسافرين على سفنهم التجارية، بالإضافة إلى زيادة طول السفن وعرضها وزيادة عدد أشرعتها وسطوحها[2]، هكذا ما أمكن الحصول على وحدة في الأنواع تسمح في وقت الحرب بتحويل السفن التجارية إلى سفن حربية [3].

كما أخذت حكومات المدن الإيطالية تدابير شديدة لمراقبة حمولة السفن تجنبا للأخطار الناتجة عن الحمولة الزائدة، فقد كان من اختصاصها تحديد كمية الشحن اللازمة لكل سفينة، وبالنسبة لكل لمل سلعة ومراقبة السفن وتفتيشها عند إقلاعها، وكان القناصلة أو مندوبهم يذهبون إلى الميناء للتأكد من عدم وجود حمولة زائدة ويفرضون غرامات مالية على ربابنة السفن الذين لا يتقيدون بالأوزان المحددة[4]، ومع مرور الأيام تعددت وتنوعت السلع المتبادلة وأدى هذا إلى تطور وتعدد وسائل النقل البحرية فخصصت مثلا الشواني الكبيرة **gres Gallego** للحجاج وللتوابل، وللسلع الثمينة، وقد كانت الشواني الخفيفة والسريعة **galley** وللقطن كانت المراكب الكبيرة البطيئة الحركة **Cog** [5].

كما وضعت حكومات الجمهوريات الإيطالية جداول تحدد فيها مواعيد رحلات سفنها التجارية، وكانت على الأغلب رحلتنا أولهما رحلة الربيع وثانيهما رحلة الصيف، أما بالنسبة لمواعيد إقلاع هذه القوافل فقد ارتبطت بالظروف المناخية وحركة الرياح، كما ألزمت سفنها التجارية بالسفر على شكل قوافل وكانت هذه القوافل ترافق عادة بسفن حربية لحراصتها والدفاع عنها ضد القراصنة[6].

---

[1] شيني.ك.ج: **تاريخ العالم الغربي**، تر مجد الدين حنفي ناصف، دط، دار النهضة العربية، القاهرة، 168.

[2] عادل زيتون: المرجع السابق، ص 57.

[3] شارل ديل: **البندقية جمهورية أرستقراطية**، تر احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر، د ط، دار المعارف، القاهرة، 1948م، ص 28.

[4] عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 57 _58.

[5] سمير علي الخادم: المرجع السابق، ص 108.

[6] عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 55، 57.

2. العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية:

أ – مع جنوة:

كانت أول معاهدة مبرمة بين الدولة الحفصية ومدينة جنوة في عهد السلطان أبي زكريا، وذلك في **10 جوان 1236**، كما إن أبا زكريا قد منح للجنويين امتيازات أقل من الامتيازات الممنوحة لمنافيسيهم الآخرين في إيطاليا، ولقد استدعى الاتفاق معهم وقتا طويلا ولم ينص على إقرار السلم إلا لمدة عشر سنوات، في حين تبلغ مدة صلاحية المعاهدة المبرمة مع كل من البندقية وبيزة أربعين سنة وثلاثين سنة، وهناك بند صريح يستحفظ به لمدة طويلة فيما بعد كان يحجز على الجنويين تعاطي التجارة والإقامة في غير المراكز التي كانوا يقيمون بها إلى حد ذلك التاريخ إلا في حالة القوة القاهرة، وكان عليهم من ناحية أخرى أن يتعهد وإلا فحسب بعدم تشجيع القراصنة، بل بمطاردة لمواطنيهم الذين كانوا قد الحقوا أضرارا بالإفريقيين[1]، حيث كانت الحركة التجارية مع البحرية كل من تونس وبجاية أشد كثافة من نفس الحركة في الجمهوريات الإيطالية التجارية[2].

بعد وفاة أبو زكريا يحيى تولى حكم الدولة الحفصية ابنه عبد الله محمد المنتصر سنة **(647هـ_1249م)**[3] حيث سارعت مدينة جنوة إلى إرسال سفير إلى تونس لإعادة السلم، حيث أبرمت معاهدة في **18 أكتوبر 1251م** لمدة عشر سنوات بواسطة المبعوث الجنوي "غليو شيبو" بمساعدة قنصل جنوة بتونس "روبالد ماشيا"، فهذه المعاهدة لم تغير أبدا معاهدة **1236م** التي ألغيت منذ أربع سنوات للانتهاء مدتها[4]، وفي شهر ذي الحجة **(668هـ_1270م)** قاد لويس التاسع الحملة الصليبية الثامنة نحو تونس ولقد كان رأي المستنصر الحفصي هو السماح للصليبيين بالنزول في قرطاجة وذلك لخوفه إذا صدهم عن النزول بها أن يتجهوا إلى منطقة

---

[1] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص ص 56 57.

[2] نفسه: ص 64.

[3] الشماع: المصدر السابق، ص 62.

[4] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص 73.

أخرى لا يمكنها أن تواجههم وتصدهم[1]، وخلال الأيام الموالية قام الصليبيون بطرد بعض السكان المسلمين من قرطاج[2]، وبعد ستة أيام من نزولهم في قرطاجة وصلتهم رسالة ثانية من شارل دانجو يطلبهم تأجيل هجومهم على تونس، وقد استجاب لويس التاسع لطلب أخيه أملا في توفير قوة أكثر للتوغل داخل البلاد بل يقول البعض أنه استجاب بعد أن يئس من المستنصر سوف يعترف بالمسيحية[3].

وفي أوائل شهر أوت تفشى وباء الإسهال وتفاقم من جراء الحرارة والاكتظاظ والنظام الغذائي، وبدأ يفتك بالصليبيين، حيث تفاقم من خطر الوباء الذي أودى بحياة عدد كبير من المقاتلين، ولقي لويس التاسع حتفه عشية يوم **25 أوت 1270** وهذه تعتبر عموما آخر حملة صليبية زعم أن النصارى قد نظموا بعد مدة طويلة من تلك الهزيمة عدة حملات عسكرية مشتركة ضد الإسلام، فقد تمكن المستنصر طوال الحملة الصليبية بفضل رباطة جأشه واعتداله من حماية التجار الأوروبيين الموجودين بتونس ولا سيما الجنويين الذين وضع أسطولهم في خدمة العدو، وقد ساعد كثيرا على تطبيع العلاقات مع النصارى حيث تم خلال سنتين الموالیتين تجديد ثلاث اتفاقيات من الاتفاقيات القديمة[4]، وبعد انتهاء الحملة الصليبية على إفريقية استأنفت المدن الإيطالية جنوة وبيزة نشاطها في إفريقية حيث أبرمت جنوة في **6 نوفمبر 1272م** معاهدة بتونس بواسطة سفيرها أوبيزون ادالاردو صالحة لمدة عشر سنوات، حيث لم تضفه إلى النص القديم سوى حالتين من حالات الإعفاء من الأداءات الجمركية بإفريقية وهما بيع السفن ولو للمسلمين وبيع أية بضاعة أخرى للنصارى الآخرين[5].

---

[1] محمد لعروسي المطوي: المرجع السابق، ص ص 202، 204.

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 90.

[3] محمد لعروسي المطوي: المرجع السابق، ص 203.

[4] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص ص 91_94.

[5] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص ص 96_97.

وفي عهد الواثق يبدو أن علاقات إفريقية مع معظم الدول النصرانية في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط قد استمرت هادئة وبدون أي حادث، كما كان الشأن في عهد المستنصر حين تواصلت الحركة التجارية بين جنوة من جهة وتونس من جهة، وبجاية من جهة أخرى، وفي **9 جوان 1287** تحصلت جنوة بواسطة مبعوثها الخاص لوشبتو بينيولي على تأكيد تونس رسميا للمعاهدات السابقة وإبرام اتفاقية تلبي طلبات التجار الجنويين المتاعملين مع إفريقية.

وفي الربيع الأول سنة **837هـ/9 أكتوبر 1433م** أبرمت مدينة جنوة معاهدة مع الدولة الحفصية وهذا في عهد السلطان أبي فارس.

بالإضافة إلى المعاهدة المبرمة في **4 صفر 848هـ /23ماي 1444م** التي كانت في عهد السلطان أبو عمر عثمان وتم تمديد هذه المعاهدة لمدة ثلاثين سنة وذلك في يوم **15 مارس 1465** حيث أضيف للمعاهدة ثلاثة فصول توفر للجنويين ضمانات جديدة بالنسبة إلى أمن أشخاصهم وتجارهم[1].

ب – مع بيزة:

لقد تسابقت بيزة كغيرها من الجمهوريات الإيطالية لتحديد الاتفاقيات التجارية[2] مع السلطان الحفصي أبو زكريا، وهذا لما كانت تضمه دولة بني حفص من مراكز تجارية في

[1] نفسه: ص 283_294.

[2] خديجة بورملة: **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس الى التاسع هجري (12_15م)**، أطروحة دكتوراه، علوم في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017م، ص 330، ينظر أيضا الملحق رقم 05 ص 65.

شمال إفريقيا، وقد بادر هذا الأخير أيضا بتوسيع الضمانات الممنوحة للتجار، وسعى لتنمية العلاقات التجارية معها ورأى أن ذلك عامل قوة ومصلحة لدولته[1].

ففي سنة **(632هـ_1234م)** أرسلت جمهورية بيزة بإرسال سفيرها وعقد معاهدة تجارية مع السلطان الحفصي مدتها ثلاثون سنة، وقد نصت هذه المعاهدات على إعطاء امتيازات تجارية للسلطة في تونس ومنحت الكثير من الامتيازات للبيزيين وكانت دليلا على أنهم أصبحوا يتمتعون بأكثر حظوة واعتبار لدى الدولة الحفصية، فكان مرخص لهم بالإقامة خارج تونس في كل من مدينة بجاية، عنابة، المهدية، صفاقص، قابس وطرابلس، كما أنهم يمتلكون في كل مدينة فندق ولهم الحق في بناء كنيسة ومقبرة ويحق لقناصلهم المطالبة بمقابلة الأمير في العاصمة أو الولاة في المدن الأخرى مرة في كل شهر[2].

كما احتوت على ضمانات كفلت للإيطاليين لحماية الأشخاص والممتلكات وضمان الأمن المتبادل للملاحة وحرية تصريف النشاط التجاري دون إعاقة وتحديد مبادئ تعاطي التجارة، واحتوت على مبادئ متحررة ومتساهلة ومشجعة.

بالإضافة إلى إدانة القراصنة والالتزام المتبادل بملاحقتها وقمعها بالقوة وكذلك تقديم المعونة وحماية الغرقى واحترام السلع والسفن المنكوبة، فقد كفلت هذه المعاهدات شروط أساسية لراحة كلا الطرفين[3].

وبعد وفاة السلطان أبي زكريا الحفصي سنة **(647هـ_1246م)** بادرت الجمهوريات الإيطالية بإرسال سفراءها إلى تونس لتغيير معاهداتها وعقد معاهدات أخرى مع السلطان الجديد، غير أن جمهورية بيزة تريثت حتى انتهت مدة المعاهدة التي عقدتها سنة **1234م** مع

[1] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص 133.

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 57.

[3] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص ص 134_135.

السلطان الراحل أبي زكريا الحفصي[1]، وفي **14شوال 662هـ_9 أوت 1264م** مع تخفيض مدة صلاحيتها من ثلاثين إلى عشرين سنة [2].

وبعد الحملة الصليبية التي شنها لويس التاسع ملك فرنسا على الديار التونسية سنة **(668هـ_1270م)** كان من الطبيعي أن يعكر هذا الحدث صفو العلاقات التجارية بين الجمهوريات الإيطالية وبين الحفصيين وأدى إلى انقطاعها وإسقاط كافة المعاهدات القائمة بينهما، وإلى توتر الساحل الإفريقي بأكمله.

وظل الرعايا المسيحيين أغرابا في جو مشحون بالحروب والحذر والخوف [3]، إلا أنه بفضل رباطة جأش السلطان الحفصي المستنصر الذي تمكن طول فترة الحملة الصليبية من حماية التجار الأوروبيين الموجودين بتونس من غضب الأهالي، وقد ساعد ذلك على تطبيع العلاقات مع النصارى[4].

غير أن الحملة الصليبية على تونس لم تكن سوى عاصفة وقتية عقبتها فترات من الهدوء والسكينة، فبمجرد انتهاء الخطر عاد التجار من جديد يتمتعون بحريتهم في نشاطهم التجاري[5]، وعادت جمهورية بيزة في استئناف نشاطها التجاري في إفريقية والدليل على ذلك أن أهالي بيزة الذين غادروا بجاية خوفا من غضب السكان المسلمين الذين قد رجعوا إليها منذ سنة **1271**، وكان النصارى الوحيدين الموجودين في تلك المدينة آنذاك، وواصلوا نشاطهم التجاري[6]، لكن جمهورية بيزة لم تتمكن من تجديد معاهداتها مع السلطان الحفصي المستنصر بعد انتهاء أجلها سنة **1284**، وهذا راجع للهزيمة القاسية التي ألحقتها بها جنوة سنة **1284** في معركة ملوريا

---

[1] نفسه: ص ص 135_136.

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص 83.

[3] مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص 136.

[4] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 94.

[5] ج. هايد: المرجع السابق، ج1، ص ص 61_62.

[6] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 96.

والتي أضعفت قوتها السياسية والعسكرية، وأدى هذا إلى اختفاء البيزيين مدة طويلة مع الأسواق التونسية،كما أدى إلى تحطم أسطولها الحربي[1].

وفي سنة **(809هـ_1309م)** وقعت بين الأمراء الحفصيين حروب داخلية انتهت بتولية أبي زكريا اللحياني سلطانا على تونس والذي أمضى خلال ولايته عدة اتفاقيات مع النصارى، ففي **21جمادى الاولى 713هـ،13سبتمبر 1313م** أمضى مبعوثا بيزة جان فيجولي وريني دليانيو معاهدة جديدة بتونس لمدة 10سنوات تعبيد أغلب بنود معاهدة **1264م** تتضمن ضمان المصالح التجارية للطرفين من أمور البيع والشراء والإقامة والأداءات الجمركية وغيرها[2]، وبعد ذلك لم نجد أي اتفاقيات بين بيزة وتونس إلا بعد 30 سنة، وتجدر الإشارة أن كل المعاهدات بين بيزة وتونس توضح أنه كان البيزيين مثلهم مثل بقية النصارى (الحماية الاستقبال الضمانات والحقوق التي منحها لهم أبو زكريا من التأسيس الأول للأسرة الحفصية، وهكذا عرفت الجمهوريات الإيطالية كيف تقدر السلطة الحفصية حق قدرها من أجل ضمان مصالح تجارتها وملاحقتها[3].

3.أسباب سقوط الدولة الحفصية:

تمكن الحفصيون من إقامة دولة حضارية تميزت عن الدول السابقة التي عرفها تاريخ هذه المنطقة، ولكن هذا لم يجعلها خالية من نقاط الضعف والاضطرابات والأزمات التي أدت إلى انحلالها شيئا فشيئا، ومن ثم إلى نهايتها وزوالها[4]، ومن أهم الأسباب الداخلية التي أدت إلى نهاية الدولة الحفصية وسقوطها –على حسب ما ذكر المؤرخ محمد علي الصلابي– ما يلي:

---

[1] دومينيك فاليرين: **بجاية ميناء مغاربي (1067_1510م)**، تر علاوة عمارة، ج1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص 805.

[2] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ص 164.

[3] خديجة بورملة: المرجع السابق، ص 248.

[4] محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر محمد الشاوش، محمد عجيمي، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 59.

– استخدام أمرائها لمنهج ابن تومرت كمناورة سياسية من أجل القضاء على دولة الموحدين، وهو منهج منحرف يدعي يتبنى عقائد فاسدة، بعد أن انكشف زيف العقيدة التومرتية لأهالي شمال إفريقية أصبح ولاؤهم ضعيف للدولة والأمراء الحفصيين[1].

– الصراعات الدموية القاتلة داخل البيت الحفصي خلقت جوا متوترا من الداخل، وبسبب هذه الصراعات تولد صراع آخر مع القبائل العربية، وبخاصة الجنوب التونسي والجزائر وبجاية وبسكرة[2]، وظهور بعض المدن كإمارات مستقلة عن عاصمة الحفصيين، وهذا كله جعل الدولة مضطرة لتجهيز جيوشها وإخضاع هذه المدن لسلطانها، وكان هذا يكلفها الكثير من الأموال والرجال[3].

– انتشار الأمراض وهذا بسبب تراكم الأقذار، فكانت قابس وضواحيها معروفة بوخمها فكانت الملاريا (حمى المستنقعات) تعيث فيها فسادا، إضافة الى أوبئة الطاعون التي كانت تتسبب دوريا بالفتح بإفريقية الشمالية وتفقيرها والتي كانت متكررة في عدة قرون وكان الطب عاجزا عن مقاومتها[4].

بالإضافة إلى هذه الأسباب إلا أنه كانت هناك أسباب خارجية سرعت سقوط الدولة الحفصية والتي تمثلت في:

– استيلاء المملكة الإسبانية على غرناطة وقيامها بتنصير المسلمين بطريقة الارشاد سنة **(905هـ_1499م)**، أما عند استيلائها على المرسى الكبير بالجزائر ونزولها في شواطئ المغربين الأدنى والاقصى سنة **(914_1505م)** أصدرت قانونا يقتضي إجبار المسلمين على التنصر، وتحريم إقامة شعائرهم الدينية، وغلق المساجد في غرناطة، وتنصير الشمال الإفريقي

[1] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 782.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 593. ينظر أيضا: الزركشي: المصدر السابق، ص 59.

[3] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 782.

[4] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج 1، ص ص 192_196.

من المسلمين، واستغلال خبراتهم وثرواتهم [1]، وبعد أن عرف الاسبان هشاشة النظام الحفصي وعدم قدرته على المواجهة بدأ احتلالهم لتونس، وكانت لا تهمهم البلاد التونسية بقدر ما كان يهمهم موقعها الاستراتيجي المشرف على مضيق صقلية ذلك الممر الرابط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط، وهكذا كانت السواحل الحفصية نهبا للإسبان، وفقد البحر الأبيض المتوسط مكانته بعد أن تحولت الطرقات التجارية الكبرى ومسالك العملة والمعادن الثمينة، فضعف بذلك اقتصاد المدن المركز على استخدام النفوذ، وتأزمت المجتمعات وحرمت الدولة الحفصية من الموارد الخارجية التي كانت تحصل عليها من التجارة أو من القرصنة، وأعوزتها مؤازرة المجتمعات الحضرية التي كانت حليفها الطبيعي وركيزتها الأساسية، وبذلك انحلت هذه الدولة بسرعة [2]، وفي هذه الفترة ظهرت قوة إسلامية متمثلة في السلطة العثمانية التي استطاعت أن تهزم النصارى في ميادين البر والبحر وكان دافعها نصرة الإسلام والمسلمين، فهذا جعل أهالي إفريقية يتطلعون إليها من أجل أن تقوم لتحريرهم من الإسبان والأمراء الذين تحالفوا معهم، فراسلوهم وتعاونوا معهم من أجل دحر النصارى الغاصبين[3]، فجاء الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا واسترجع تونس من الإسبان، ووضع حدا للدولة الحفصية بإفريقية[4] سنة **(983هـ**

[1] محمد لعروسي المطوي: المرجع السابق، ص 654.

[2] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص ص 64_65.

[3] محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص 883.

[4] محمد الهادي الشريف: المرجع السابق، ص 66.

_1574م)، وانتهت بذلك خلافة كانت قوية هي الخلافة الحفصية التي شهدت أحداثا عظيمة، وكان لها دور بارز في توحيد المغرب الإسلامي[1].

[1] روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص 310.

الخاتمـــة

يعتبر موضوع دراستنا من المواضيع التي تركت أثرا في العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة، فلقد نشأت الدولة الحفصية بعد الضعف الذي دب في الدولة الموحدية على الانفصال وتشكيل دولة مستقلة حكمها مجموعة من الحكام.

أما بالنســـبة للمدن الايطالية جنوة وبيزة هي الأخرى كان ظهورها نتيجة عدة عوامل من بينها الدور الكبير الذي لعبته في المنطقة، فكانت محطة لتصدير واستيراد مختلف السلع والبضــائع بين الشــرق والغرب، التي احتاجها الطرفين، وبالتالي كانت الوســيط التجاري بين الشرق والغرب.

بالإضــافة إلى الفتوحات الإســلامية التي كانت في القرن الســابع ميلادي وســيطرت المســلمين على البحر المتوســط، واســتمرار العلاقات التجارية بين الدول الإســلامية والدول الغير إســلامية، حيث شــجعت الأنشــطة التجارية على القرب، عكس بعض النظريات التي روجت للفتح الاسلامي الذي كان عائقا لتجارتها وسببا في توقفها بين الشرق والغرب.

ظهور المدن الإيطالية جنوة وبيزة كان نتيجة عدة تطورات سياسية تعرض لها الشمال الايطالي أدت إلى ظهورها وبروزها تجاريا.

تميز الطرفين بموقع جغرافي اســـتراتيجي فعال لـه دور كبير في تنشـــيط الحركة التجاريـة، وقيـام العلاقـات بينهمـا، كمـا كـان للمنتوجـات التجاريـة التي تمتعت بهـا الـدولـة الحفصية والمدن الإيطالية جنوة وبيزة وتوفرهم على مجموعة من الموارد الزراعية والصناعية، بالإضافة إلى شبكة الطرقات التي أدت الى ازدهار النشاط التجاري وسهلت من العملية.

امتلكت المدن الإيطالية جنوة وبيزة أســـطولا تجاريا ضـــخما فكان من أبرز مقوماتها التجارية، حيث نتجت عن كل هذه العوامل والظروف علاقات تجارية بين الدولة الحفصـــية والمدن الإيطـالية جنوة وبيزة، حيث عقدت مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات، رغم أنها تخللتها في بعض الأحيان توترات ومنازعات، إلا أنه ســـرعان ما تعود إلى طبيعتها مراعاة لمصـــالحها التجارية، فالمدن الإيطالية جنوة وبيزة قدمت بعض التنازلات وذلك من أجل

اســتمرار تجارتها مع الدولة الحفصــية نظرا لأهميتها، حيث احتكر الأســطول البحري للمدن الإيطالية جنوة وبيزة النقل البحري والتجاري بين إفريقية من جهة، وبين إيطاليا والشـــرق من جهة أخرى، فلقد ســيطر الإيطاليون على الموانئ الحفصــية وجزء هام من التجارة الخارجية، وهذه العلاقات رغم الإيجابيات التي أدت إلى ازدهار التجارة وزيادة الموارد المالية، إلا أنها كان لها أيضا سلبيات تمثلت في:

بعض الهجومات على بعض المناطق الحفصـــية من بينها الحملة الصـــليبية الثامنة على تونس وغيرها من الهجومات، لكنها كلها باءت بالفشـل، لأن الدولة الحفصـية كانت في أوج قوتها، وســـاهمت هذه النتيجة الســـلبية للهجومات في تعزيز النفوذ الذي كانت تتمتع به الدولة الحفصـــية، بدأ الضـــعف ينتشـــر في الدولة الحفصـــية وذلك لعدة أســـباب من بينها الصـراعات التي كانت داخل البيت الحفصـي من أجل كرسـي الحكم، بالإضـافة إلى انتشـار الأمراض والأوبئة الفتاكة.

كما كان هناك أسباب خارجية منها احتلال الإسبان للسواحل الحفصية، وهذا ما أدى إلى انحسار وضعف الحركة التجارية في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

وفي الأخير نسـتنتج أن الدولة الحفصـية اسـتطاعت أن تتوفق إلى حد ما في ترويج علاقاتها التجارية الإيطالية وذلك بفضل:

- موقعها الجغرافي والامكانيات التجارية التي مكنتها من تنشيط الحركة التجارية.
- اهتمام المدن الإيطالية جنوة وبيزة بعلاقتها التجارية مع الدولة الحفصية نظرا لأهميتها ولمصالحهم المادية.

وأخيرا وليس آخرا نأمل أن يكون موضوعنا مدروسا بطريقة موضوعية، كما نرجو أن تفتح مجالا واسعا للدراسات المستقبلية.

الملاحق

ملحق رقم 01: ملوك الدولة الحفصية:

1. أبو محمد عبد الواحد 603-618هـ/1202-1207م.
2. أبو زكريا الأول 625-647هـ/1228-1249م.
3. أبو عبد الله محمد المستنصر 647-675هـ/1228-1249م.
4. أبو زكريا يحي الثاني الواثق 675-678هـ/1277-1279م.
5. أبو إسحاق إبراهيم الأول 678-681هـ/1279-1283م.
6. الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة 681-683هـ/1283-1284م.
7. أبو حفص 683-694هـ/1284-1295م.
8. أبو عبد الله محمد أبو عصيدة 694-709هـ/1295 -1308م.
9. أبو يحي أبوبكر الشهيد 10 ربيعة الآخر 709هـ/1309م 27سنة منه.
10. أبو البقاء خالد الأول 709-711هـ/1309-1311م.
11. أبو يحي زكريا الأول بن اللحياني 711-717هـ/1311-1317م
12. أبو عبد الله محمد أبو خربة 717-718هـ/1317-1318م.
13. أبو بكر 718-747هـ/1318-1346م
14. أبو حفص عمر 747هـ/1346م.
15. أبو العباس أحمد 747هـ/1346م.
16. أبو حفص عمر الثاني 748هـ/1347م.
17. أبو الحسن الثاني المريني 748-750هـ/1347-1350م.
18. أبو العباس أحمد الفضل 750-751هـ/1350-1352م.
19. أبو إسحاق إبراهيم الثاني 751-770هـ/1352-1369م.
20. أبو البقاء خالد الثاني 770-772هـ/1369-1370م.
21. أبو العباس أحمد 772-796هـ/1370-1394م.
22. أبو فارس عبد العزيز 796-837هـ/1394- 1434م.
23. أبو عبد الله محمد السادس المنتصر 837-839هـ/1434-1435 م.

24. أبو عمر عثمان 839-894هـ/1435-1488م.
25. أبو زكريا يحي الثالث 894-895هـ/1488-1489م.
26. عبد المؤمن 895هـ/1489م.
27. أبو يحي الثاني 895-899هـ/1489-1494م.
28. أبو عبد الله محمد الخامس 899-932هـ/1494-1526م[1].

[1] الشماع: المصدر السابق، ص ص 139-140.

ملحق رقم 02: الدولة الحفصية[2]

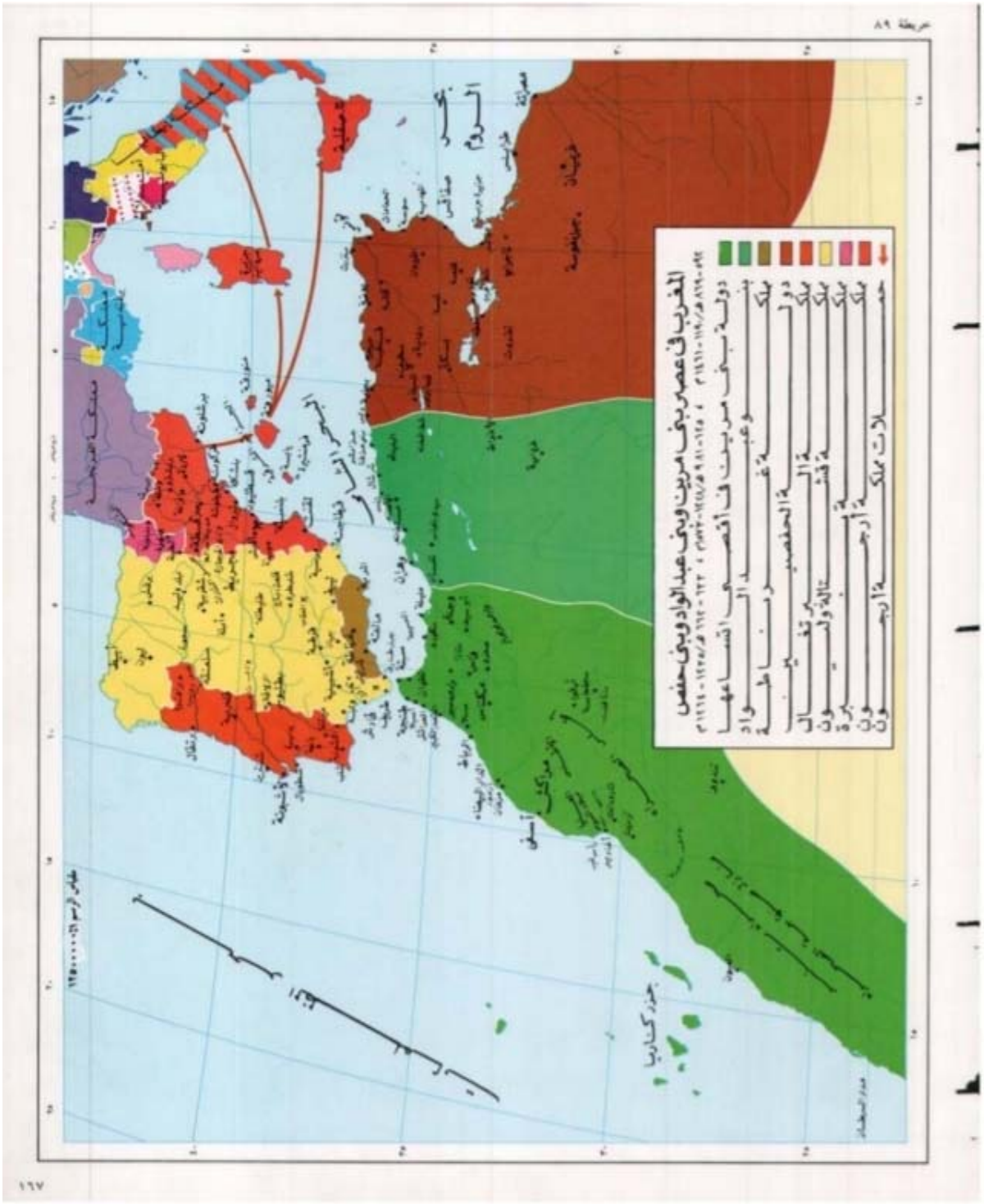

[2] دريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفكرة (ق7 – 10هـ / 13 – 16م)، أطروحة دكتورة، إشراف مبخوت بوداوية، جامعة تلمسان 2013–2014م، ص 379.

ملحق رقم 03: المدن الإيطالية[3]

[3] الهدون الحامدي، المرجع السابق، ص 334.

ملحق رقم 04: الطرق التجارية للدولة الحفصية[4]

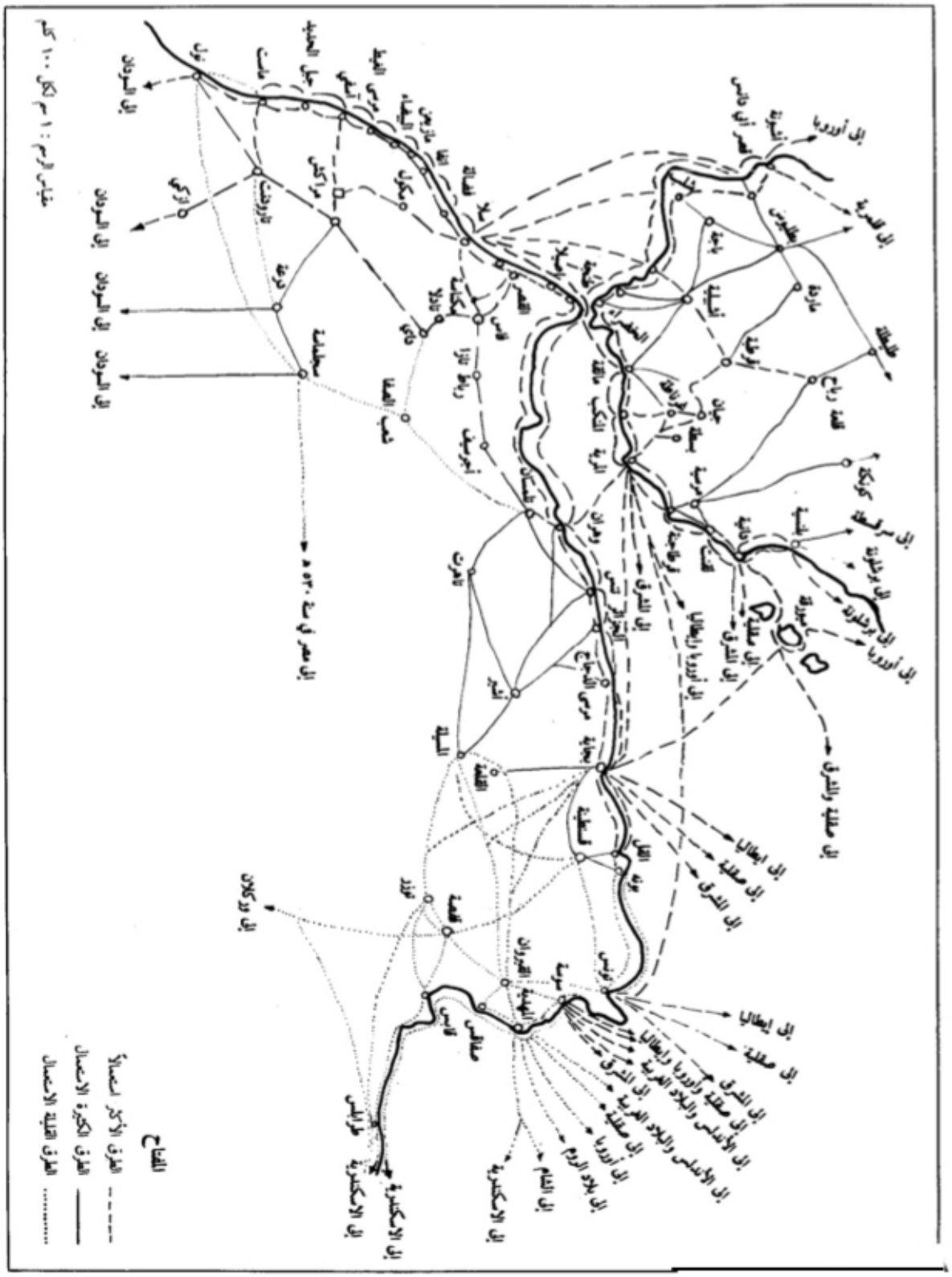

[4] عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 307.

ملحق رقم 05: رســـالة من عبد الرحمان بن أبي حفص إلى تجار بيزا، وهي عبارة عن كتاب أمان يدعوهم فيه إلى القدوم للمتاجرة ببلاده.

بسم الله الرحمان. الرحيم صلى الله. على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.
كتاب. أمان وتأكيد إحسـان أمر بكتبه عبد الرحمان بن سـيدنا أبي حفص بن سـيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين إلى جماعة تجار نصـارى بيش –هداهم الله –أمن به سـربهم، وأعذبهم شربهم وأيسر وحشتهم، وسكن نافرهم، أحمد مواردهم ومصـادرهم وأجراهم على ما يعوده من إحسان سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أيدهم الله، ووثيق عهدهم ومعهود رفعهم ومعروف عدلهم، وجميل مذهبهم في معاهديهم إجراء تاما عاما، حايرا لفوايده آخذا بعوايدهم، مقتديا بمقاصـده بالغا فيه إلى الغاية التي تؤكد لطالبه الثقة به، والاسـتقامة له والسـكون إليه بحول الله، فليصـــلو إلى بلاد إفريقية حاطها الله محمولين على ســـنن الرعاية والعناية، محوطين بكانف الكفاية والحماية، ملحوظين بهذا المنزع الأوزع، المقصـد الأرشـد، والمذهب الأصـوب إن شاء الله وحيث حلوا من معاقلها وسواحلها، وبرها وبحرها في مسالك تجاراتهم وترددهم بها ومتصرفاتهم لا يعترضهم في شيء منها معترض، ولا ينعطب لهم هذا الحبل المتين.
ولا يعترض إن شـاء الله تعالى، فمن وقف عليه من قبلهم من المسـلمين أعزهم الله، فليعاملهم بمقتضاه ولا يعدل عن منحاه، إن شاء الله تعالى لا رب غيره ولا معبود سواه [5].

[5] بورملة خديجة، المرجع السابق، ص330.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا – المصادر:

أ – المطبوعة باللغة العربية:

1. الإدريسي أبي عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
2. ابن أبي دينار أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ.
3. ابن جبير الكناني أبو الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، دت.
4. ابن حوقل أبي القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996.
5. ابن خلدون عبد الرحمان محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
6. ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر ابن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.
7. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
8. البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد.
9. التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، دط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
10. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984م.

11. الزركشـــي عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، تاريخ الدوليتين الموحدية والحفصـــية، ط1، مطبعة الدولة التونسية المحروسة، تونس، 1289هـ.

12. الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر،كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صـــادق، دط، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، دت.

13. القلقشـندي أحمد أبو العباس، صـبح الأعشـى، ج5، دط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م.

14. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة وتقديم حسن حبشي، دط، مكتب الثقافة الدينية، الإسكندرية، 2002م.

15. مجهول، الاسـتبصـار في عجائب الأمصـار، نشـر وتعليق سـعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

16. المراكشـــي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق وتصـــحيح محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

17. الوزان حسـن بن محمد الفاسـي، وصـف إفريقية، ج1، ج2، ترجمة محمد الأخضـر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

ثانيا – المراجع:

أ – المطبوعة باللغة العربية:

1. اسماعيل أحمد الراشد، تاريخ أفكار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م.

2. حاطوم نور الدين، تاريخ عصر النهضة الأروبية، دط، دار الفكر، الكويت، دت.

3. حســين عبد الرزاق، الأدب العربي في جزر البليار، ط2، مؤســســة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م.

4. حسن ممدوح، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري سنة 668-796هـ، 1270م، ط1، دار عمار للنشر، عمان، 1998م.
5. الخادم سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط، 1450-1517م، ط1، مؤسسة دار الريحاني،1919م.
6. زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ط1، دار الأمير، بيروت، 1995م.
7. زيتون عادل، العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دار دمشق للنشر والطباعة، القاهرة، 1980م.
8. الصلابي محمد علي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج2، ط1، دار الإيمان، الإسكندرية، 2003م.
9. الطحاوي حاتم عبد الرحمان، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، ط1، عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم، 1990م.
10. عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.
11. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، مؤسسة الثقافة الجامعة، الإسكندرية، 2001م.
12. علي السيد علي، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، دط، عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم، 1996م.
13. عمران محمود سعيد، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دط، دار المعرفة الجامعة، دم، 1998م.

14. عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983م.
15. الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج5 وج6، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.
16. فهمي نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة. للكتاب، القاهرة، 1983م.
17. قرم جورج، تاريخ أوروبا وبناء أسطورة الغرب، تحقيق رأى ذبيان، ط1، دار الفرابي، لبنان،2011م.
18. محمد أمين عبد الأمير، محمد توفيق حسين، التاريخ الأروبي في العصور الوسطى، دط، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1978م.
19. المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية وتاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
20. مؤنس حسين، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ط2، مكتبة مدبولي، 1986م.
21. يحي جلال، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م.
22. يوسف جوزيف نسيم، تاريخ العصور الوسطى وحضارتها، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984.

ب – المترجمة:

1.أرشـــيبالد.ر.لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوســـط 500-1100م، ترجمة أحمد محمد عيســـى، مراجعة وتقديم محمد شـــفيق غربال، دط، مكتبة النهضـــة المصرية، دت.

2.أوليفيا ريمي كونســتيبل التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصــل عبد الله، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م.

3.برنشـــفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصـــي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الســـاحلي، الجزء الأول والثاني، ط1، دار الغرب الإســـلامي، بيروت، 1988م.

4.جاك لوكوف، هل ولدت أوروبا في العصـر الوسـيط، ترجمة وتقديم محمد حناوي ويوسـف نكادي، ط1، مطبعة زنقة السنغال،2015م.

5.جورج مارسـيه بلاد المغرب وعلاقاتها مع الشـرق في العصـر الوسـيط، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

6.شـارل ديل، البندقية جمهورية أرسـتقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق إسـكندر، دط، دار المعارف، القاهرة، 1948م.

7.الشـــريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصـــور ما قبل التاريخ إلى الاســـتقلال، ترجمة محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3، دار سراس، للنشر، تونس، 1993م.

8.شـــيني.ت.ج، تاريخ العالم الغربي، ترجمة مج الدين حنفي ناصـــر، دط، دار النهضـــة العربية، القاهرة، دت.

9.مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، ج2، ط1، دار المعرفة لنشـــر والتوزيع، الرباط، 1989م.

10. موريس بيشـوب، تاريخ أوروبا في العصـور الوسـطى، ترجمة علي السـيد علي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

11. نورمان.ف.كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية،ج1، ترجمة وتعليق قاسم عبد قاسم، ط5، عين الدراسات الانسانية والاجتماعية، دم، 1997م.
12. هايد.ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج1، ترجمة أحمد محمد رضا عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985م.
13. هنري بيرين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ترجمة وتحقيق عطية القوصي، دط، الهيئة المصرية العامة الكتاب، مصر، 1996م.

ثالثا – الرسائل الجامعية:

1.الكردي نيفين ظافر حسيب، الأوضاع الدينية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب الأوروبي بين الشرق والقرن التاسع والقرن الحادي عشر، إشراف رياض مصطفى أحمد شاهين، جامعة غزة، 1432هـ-2012م.
2.بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، 7-10هـ/13-16م، رسالة ماجستير، إشراف موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1986-1987م.
3.بورملة خديجة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر الأبيض المتوسط 6-9هـ/12-15م، أطروحة دكتوراه، إشراف عبد القادر بوباية، جامعة وهران، 2017-2018م.
4.بن مصطفى دريس، العلاقات السياسية الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفكرة (ق7. 10 هـ/ 133-16م) أطروحة دكتوراه، اشراف بمبخوث بوداوية، جامعة تلمسان، 2013-2014.
5.حامدي الهدون، العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 6هـ-12م حتى القرن 10هـ-16م، أطروحة دكتوراه، إشراف بن داود نصر الدين، جامعة تلمسان، 2018-2019م.

6.جبودة مريم محمد عبد الله، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي (555-980هـ/1160-1572)، أطروحة دكتوراه، إشراف سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، 2008م.

7.سلام مجدي يسن عبد العال عبد الله، العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية (جنوة -بيزا-البندقية)، أطروحة دكتوراه، إشراف قاسم عبده قاسم، جامعة الزقازيق، 2004-2005م.

8.غربي بغداد، العلاقات التجارية للدولة الموحدية، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران، 2014-2015م.

رابعا - المجلات:

1.حادة حافظ، الحياة الاقتصادية بإفريقية خلال العهد الحفصي من خلال نوازل البرزلي والونشريسي وكتب الحسبة، مجلة المشكاة، العدد السابع، تونس، 2009.

الفهـرس

العنوان	الصفحة
الشكر	**-**
الإهداء	**-**
مقدمة	أ
الفصل الأول: الدولة الحفصية	
تمهيد	**08**
1. أصل الحفصيين	**09**
2. نشأة الدولة الحفصية	**09**
3. الموقع الجغرافي للدولة الحفصية	**12**
4. أبرز حكام الدولة الحفصية	**14**
الفصل الثاني: المدن الإيطالية وأهميتها	
تمهيد	**19**
1. ظهور المدن الإيطالية	**20**
أ – مدينة جنوة	**23**
ب – مدينة بيزة	**25**
2. أهمية الموقع الجغرافي للمدن الإيطالية	**28**
الفصل الثالث: العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية	
تمهيد	**31**
1. المقومات التجارية	**31**
أ – المقومات التجارية للدولة الحفصية	**31**
ب – المقومات التجارية للمدن الإيطالية	**38**
2. العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية والمدن الإيطالية	**47**
أ – مع جنوة	**47**
ب – مع بيزة	**50**

3. أسباب سقوط الدولة الحفصية	**52**
خاتمة	**57**
الملاحق	**60**
المصادر والمراجع	**67**
الفهرس	